



www.helmelarab.net

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخبرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فلة تادرة. أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسنن إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسب لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التلغز و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الفواصلات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة. لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى من (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة تلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخبرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- القادم الجديد ..

تجمعت السحب على نحو غير مألوف، فى سماء (تل أبيب)، فى ذلك اليوم، ومط رجل المخبرات الاسرائيلى (ليو دايان) شفتيه فى امتعاض، وهو يقفم لنفسه :

- كم أكره مثل هذا الطقس ..

قالها وتناساها بعد لحظة واحدة، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرا منغوما. ويدور فى شفته الصغيرة بخفة ومرح، ثم لم يلبث أن توقف أمام مكتبه، والنقطة مظروفا منتقفا، تحسنه فى سعادة، ثم فتحة، وراح يتأمل رزم الدولارات الأمريكية الخضراء داخله، قبل أن يقفم فى هيام، وكأنه يهيم فى أذن معشوقته :

- المال .. ما أحلى المال .. إنه الإكسير السحري، الذى يمنحك كل متع الدنيا، وكل الـ ..

قطع حديثه لنفسه رنين مفاجئ لجرس الباب، ففقد حاجبيه، وتطلع إلى ساعته، متمفنا :

- إنها السانسة والنصف صباحا .. من ذلك الوقح ،
الذي يأتي لزيارتي ، في مثل هذه الساعة المبكرة .
زفر في سخط ، ووضع المظروف في درج مكتبه
بعناية ، ثم اتجه إلى الباب ، وانحنى يتطلع عبر العين
السحرية في منتصفه إلى القادم ، ولكنه لم يكمل فعل ، حتى
ارتد في عنف ، كمن صعقه تيار كهربى ، وهتف في دهشة
عارمة :

- (موشى) .

وعلى الرغم من انفعاله ، فتح الباب بسرعة ، وحاول
أن يرسم على شفتيه ابتسامة ما ، وهو يقول :

- ويا عزيزى (موشى نذرانلى) .. أى رياح طيبة
ألقت بك إلى ، فى مثل هذا الصباح الجميل ؟
بدا وجه (موشى حاييم نذرانلى) بارذا جامدا كعائته ،
وهو يقول :

- كيف خالك يا (ليو) ؟

أفصح له (ليو) الطريق ، وكأنه يدعو للذكول ،
وهو يقول :

- فى خير حال .. تسعنى رؤيتك كثيرا .. ولكن .

ومع كلمته الأخيرة ، كان (موشى) قد دلف بسرعة إلى
المنزّل ، وأغلق الباب خلفه ، ثم التفت إليه ، فى برود :

- ولكن ماذا ؟

ارتبك (ليو) لحظة ، ثم ضحك فى عصبية ، وقال :

- أعنى أن الوقت مبكر للغاية .

شدّ (موشى) قامته ، وهو يقول :

- فليكن .. لن نضيع الوقت .

ولم يكمل يتمها ، حتى كانت قبضته تهوى على فك (ليو)
كالثقبلة ، وتلقى به مترين إلى الخلف ، فارتطم بقطع
الأثاث ، وسقط معها أرضا فى عنف ، قبل أن يهتف
مدعورا ذاهلا :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

قطع (موشى) المترين بقفزة واحدة ، وجنبه من شعره
فى قسوة ، وهو يخرج من جيبه قرصا صغيرا ، ويضعه
أمام عينى (ليو) مباشرة ، قائلا :

- هل تعرف هذا ؟

اتصت عينا (ليو) فى منع واضح ، كشف أمره تماما
على الرغم من تراجعته التالى ، وهو يقول فى عصبية :

- ما هذا بالضبط ؟

لكمه (موشى) فى معنته بقوة رهيبية ، وهو يقول :

- إنه جهاز التصنت الألىق ، الذى وضعت فى حجرة
المدير يا صديقى .

صرخ (ليو) من فرط الألم ، وزاح بلهث في قوة ، وهو
بمسك معدته في توجع ، صائحاً :

- أي جهاز ؟ .. لأشأن لي مطلقاً ..

قاطعه (موشى) في صرامة :

- لا فائدة من الإنكار .. لقد فحصنا البصمات ، وعرفنا
أنك صاحبها ..

هتف (ليو) :

- هذا ليس نليلاً .. من الممكن أن ..

أخرسته لقمة ساحقة من قبضة (موشى) ، حطمت
الثقتين من أسنانه الأمامية ، وقطعت شفته السفلى ، وألقته
أرضاً في عنف ، وعلمنا حاول التهوؤ ، أصابته ركلة
قوية في أنفه ، فاسترجت دعاؤه بالنماء التازفة من الشفة
المقطوعة ، وصاح (ليو) في عصبية شديدة :

- أنتظني غير قادر على القتال ؟

لطق العبارة ، وهو يقفز ليتكم (موشى) ، ولكن هذا
الآخر تفادى الضربة في رشاقة مدهشة ، وهوى على
معدة (ليو) بلكمة ثائية ، وثالثة ، ثم حطم واحدة أخرى من
أسنانه بلكمة كالصاعقة ، وانقض عليه قبل سقوطه ، وجذبه
من شعره في قسوة رهيبة ، وهو يتلزع مسنسه ، ويلصقه
بصدغه ، قائلاً :

- هنا يا رجل .. انتهى تست رجل شرطة أو قاضياً ،
ولا تهمنى الأدلة والقرائن والبراهين .. انتهى هنا لأعرض
عليك صفقة واحدة .. إما أن تعترف بكل ما لديك ،
وتخبرنى بكل ما أرغب في معرفته ، أو أقتلك بلا رحمة .
كما لو كنت كلنا أجرب .. ولن أمنحك العمر كله لتقرر ..
أمامك فقط نصف دقيقة من الآن ..

وجنب إبرة الممسك بصوت مسموع ، ارتجف له جسد
(ليو دايان) كله ..

كان يعرف (موشى) حاييم ليزر اليلى) جيداً ..

ويعلم أنه لا يمزح ..

ولا يخدع ..

إنه يعنى بالفعل كل حرف تطلق به ..

ولن يتورع (موشى) أبداً عن قتله ، والتعتيل بجثته

لؤلؤم الأمر ، دون أن يطرف له رمش ..

ولكن الاعتراف يعنى أيضاً الكثير ..

يعنى أن (ليو) سيصم نفسه بالخيانة ..

والموت هو أيضاً عقاب من يفعل ذلك ..

وفي ضراعة وحرارة وانقياد ، تتمم (ليو) :

- (موشى) يا صديقى .. أرجوك ..

قاطعه (موشى) بصفعة قوية ، ثم مال بمسدسه ،
وألصقه بفخذ (ليو) ، وضغط الزناد ..

وكان الألم رهيبا ..

لقد اخترقت الرصاصة فخذ (ليو) ، ونفخت من جانبه
الآخر ، بعد أن حطمت عظمة الفخذ ، فصرخ (ليو)
فى انهيار :

- لا .. لا تفعل .. أرجوك .

أعاد (موشى) المسدس بسرعة إلى صدغ (ليو) ، وهو
يقول فى صرامة باردة :

- بقيت عشرون ثانية فقط .

سالت اللعوج من عينى (ليو) ، من فرط ألمه
الرهيب ، وعذاب نفسه الشديد ، وتمتم بصوت تلقط له
القلوب :

- أتوسل إليك يا (موشى) .. أريد سيارة إسعاف ..

أريد ..

أدار (موشى) مسدسه مرة أخرى ، وأطلق منه رصاصة
هشمت ركبته (ليو) ، الذى أطلق صرخة مفزعة ، فى حين
بدا (موشى) هائلا باردا ، وكأنما لم يفعل شيئا ، وهو
يقول :

- عشر ثوان فحسب .

صرخ (ليو) :

- ما الذى تريد معرفته ؟

سأله (موشى) فى برود :

- لحساب من تعمل .

أجابه (ليو) فى ألم رهيب :

- إنها منظمة جديدة ، تحمل اسم (سناك) .. أنا مخطئ

لأننى تعاونت معهم ، ولكن ..

قاطعه (موشى) :

- ومن يدير هذه المنظمة ؟ .. المضربون أم السوفييت ،

أم الأمريكيون ؟

هتف (ليو) :

- بل هى منظمة خاصة .

عقد (موشى) حاجبيه ، وهو يقول :

- منظمة جاسوسية خاصة ؟! .. ومن يرأسها ؟

انهار (ليو) مع ألمه المفرطة ، وهو يجيب :

- لست أدري .. لقد حضر إلى رجل أمريكى الجنسية ،

من أصل فرنسى أو إيطالى ، اسمه (توني بورسالينو) .

وقال : إن (سونيا) طلبت منه الاتصال بى .

سأله (موشى) :

- (سونيا) من ؟

أجاب (ليو) : وصوته يخفت تدريجياً ، وكأنه يوشك على فقدان الوعي :

- (سونيا جراهام) .. زميلتنا السابقة .. هي التي طلبت منه هذا ، و ...

قطع عبارته ليصرخ فجأة :

- (موشى) .. إننى أموت .. أنقذنى يا صديقى .. تذكر الأيام الخوالي .. تذكر أعمالنا معاً ، وصادقتنا ، و ...

ولكن (موشى) لكمه فى أنفه فى قوة ، وهو يقول فى قسوة !

- لا تضع الوقت .. أبلىنى كل ما لديك .

هتف (ليو) :

- هذا كل ما لدى يا (موشى) .. أقسم لك .. لقد أغرائنى المبلغ الضخم ، وكانت (سونيا) تملك بعض ما يديننى ، ولم يكن أمامى سوى أن أفعل ما فعلت .. أنقذنى يا صديقى .. أرجوك .. خفف عنى هذه الآلام الرهيبة .

صمت (موشى) لحظة ، سألته فى برود :

- أهذا حقاً كل ما تعرفه ؟

هتف (ليو) فى انهيار :

- بالتأكيد يا (موشى) .. أقسم لك على هذا بروح آبائى وأجدادى ، ولكن خفف عنى هذه الآلام المبرحة .. أرجوك .. بدت على شفتى (موشى) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

- بالطبع يا صديقى القديم .. سأخفف ألامك الرهيبة على الفور ، وبدواء لا يقبل قط .

فهم (ليو) ما يعنيه (موشى) ، فصرخ :

- لا .. لا يا (موشى) .

ولكن (موشى) ضغط زناد مسدسه فى هدوء ..

وانفجرت رأس (ليو) كمصباح قديم ..

وفى هدوء عجيب ، أعاد (موشى) مسدسه إلى جيبه ، وعزل رباط عنقه ، وهو يقول :

- إنه خطوك يا صديقى .. لماذا جعلت جدران منزلك عازلة للصوت .

ويشفس الهدوء المدهش ، وبدقة متناهية ، فُتس (موشى) كل شبر من منزل (ليو) ، قبل أن يغادره فى بساطة ، عائداً إلى إدارة المخابرات الإسرائيلية ، دون أن يدرك أن تلك المنظمة ، التى كشفت وجودها منذ دقائق ، ستقوده إلى قتال تقليدى عنيف ورهيب ، مع أعنف وأقوى خصومه ، فى التاريخ كله ..

مع (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

كانت البداية عندما استند مدير المخابرات العامة المصرية إلى (أدهم صبرى) ، و (منى توفيق) و (حسام حمدي) مهمة كشف وتمييز منظمة التجسس الجديدة ، التي ظهرت في العالم ، تحت اسم (سناك) ، دون أن يدري أحدهم أن الزعيمة الخفية لتلك المنظمة الجديدة هي أفعى (الموساد) السابقة (سونيا جراهام) ، التي قرأت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحملت اسم (جوان آرثر) ، صاحبة شركة الإلكترونيات الكبرى في (نيويورك) .. وكإجراء مدروس ، انطلق كل من أفراد الفريق الجديد إلى هدف محدود ..

(منى) انطلقت إلى (إيطاليا) ..

و (حسام) إلى (أمريكا) ..

و (أدهم) إلى (انجلترا) ..

وفي الوقت ذاته ، كانت (سونيا جراهام) تعد خطة رهيبة ، لإعلان قيام منظمته الجديدة ، تعتمد على سرقة خمسة رؤوس تويوة من (الاتحاد السوفيتي) السابق ، ووضعها في أكبر خمس عواصم في العالم ، كوسيلة للسيطرة على الحكومات ، وتهديدها بالقضاء ، لو خالفت أوامرها ..

وسافرت (منى) إلى (إيطاليا) ، ولكنها تعرضت لمخاطر شتى ، ومحاولة قتل ، ورطبتها مع الشرطة الإيطالية ، وألقي القبض عليها ، وحاول أحد رجال الشرطة المرتشين قتلها ، ولكنها فرت بمساعدة الملحق المصري المصري ، وطاردهما رجال الشرطة الزائفون في إصرار ، حتى وجدا نفسيهما أمام سيارة (فان) هائلة ، تعترض طريقهما ..

ولم يكن هناك مقر من الاصطدام ..

أما (حسام) ، فقد سافر إلى (أمريكا) ، وأجبر مسئول شركة الهاتف على البوح ببعض ما لديه ، ولكنه لم يستطع ذكر اسم (سونيا) ، لأن أحد حراس الشركة قتلته عمدا .. ونجح (حسام) في الفرار من الشركة ، ومن مطاردة الشرطة الأمريكية ، ثم عاد إلى حارس الشركة ، وكاد ينتزع منه المعلومات التي يطلبها ، لولا أن هاجمه بعض الرجال فجأة ، وأفقدوه الوعي ، ثم ألقت الشرطة القبض عليه ، وفي أثناء التحقيق معه ، نس له الملازم (جونز) سم (السيانيد) في شرابه ..

وجرع (حسام) الشراب كله ..

وسرى السم في جسده ..

وفي (اتجئترا)، كان (أدهم) يواجه واحداً من أقوى رجال (سونيا جراهام) ..

سير (لاتسلوت) .. رجل المخابرات البريطاني السابق، والمغامر الحالي، الذي كشف أمر (أدهم)، والقاء طعاماً لتساحه الرهيب (كروكي) ..

ولكن (أدهم) نجا بمعجزة، والتقى بسير (لاتسلوت) مرة أخرى، في شخصية جديدة، نجحت في خداع (لاتسلوت) بعض الوقت، إلا أنه لم يلبث أن كشف أمر (أدهم) وأخذ له قفلاً مبهكراً، بمعاونة خادمه وحارسه الشخصي (مور)، حيث وضع أمامه كرة من كرات الجولف، تحوى (الليتروجلمرين) ..

ووسط الأشجار، رأى (لاتسلوت) (أدهم) يضرب كرة الجولف ..
وبوى الانفجار الرهيب (*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزئين الأول والثاني، (المسفر الأعشى)، و (القصاص) .. المغامرتين رقمي (٩٧)، و (٩٨) ..

٢ - الحادث ..

لم يكن هناك مغر حقا من الاصطدام، فالملاحق العسكري المصري ينطلق بأقصى سرعة بالفعل، وإلى جواره (منى)، و (القان) الضخمة تسد الطريق كله، وتعترضهما بجانبها الهائل، الذي بدا كجدار شيطاني رهيب ..

ويكلم مايمك من قوة، وفي بأس كامل، انحرف الملاحق العسكري بالسيارة، و (منى) تصرخ في ارتياح :
- احترس ..

ولكن السيارة مالت إلى اليمين، على نحو بالغ الخطورة، ولكن مناوئتها المحدودة هذه لم تتجح في إنقاذها، فأطلقت إطاراتها صريحا مخيفاً، وهي تزحف بسرعة رهيبية نحو (القان) .. و ...
وحدث الاصطدام ..

ومع صرخة (منى) المتصلة، التي يمتزج فيها الرعب بالألم والارتياح، ضربت السيارة جانب (القان) في عنف، وتحطم جانبها الأيسر كله، ثم انقلبت على جانبها الأيمن، وزحفت لسته أمتار كاملة، قبل أن تصطدم بجانب الطريق، وتشتعل الذيران في مؤخرتها على نحو مخيف ..

وعلى بعد أمتار قليلة، قلبه (ماريو) ضاحكا، في سخرية وشماعة. داخل سيارة الشرطة الزائفة، وهو يقول:

- أرايت يا صديقي .. هذا هو ما أعدته لهم فرقتنا .. فح أنيق، يصنع في لحظة واحدة، ما نسعى نحن لتنفيذه. تطلع (ميله (كارلو) إلى السيارة، التي اندلعت النيران في مؤخرتها. وهو يقول في قلق:

- أعتقد أنهما لقيا حتفهما.

أشار (ماريو) إلى النيران، وقال ساخرا:

- ما رأيك أنت؟

تطلع (كارلو) بضع لحظات إلى النيران بدوره، ثم قال في حسم:

- لا بد وأن نتأكد.

وفتح باب السيارة، وهو ينتزع مسنده، واتجه نحو السيارة نصف المشتعلة في حذر، في حين أشعل (ماريو) سيجارته في استهتار، وهو يقول:

- احترس يا رجل .. ستفجر تلك السيارة بعد ست دقائق على الأكثر.

لوح (كارلو) بيده اليسرى في ضجر، وانحنى ينطلق في حذر، عبر الزجاج الأمامي نصف المحطم، لسيارة الملحق العسكري المصري ..

كان من الواضح، من النظرة الأولى، أن الملحق العسكري الشاب قد لقي مصرعه، فقد نهشمت جميعته على نحو بشع، في حين استلقت (منى) مقعضة العينين، والدماء تسيل من جرح في جبهتها ..

وضاقت حدقتا (كارلو)، وهو يتأمل (منى) في حذر، ثم رفع فوهة مسنده نحوها، وهو يتمتم:

- لن بضيرها أن تتلقى رصاصة ثانية في جبهتها.

ولكن فجأة، اعتذلت (منى)، ورفعت يدها المسكة بمفتاح من الصلب، من الأنوار التي تستخدم لإصلاح السيارة، وألقته بكل قوتها نحو (كارلو) ..

وتراجع (كارلو) مع المفاجأة، وهو يهتف:

- اللعة .. إنها ..

ولكن الأداة الثقيلة ارتطمت بوجهه، وأخرسته قبل أن يتم عبارته، فختما بصرخة ألم، وهو يسقط أرضا، فاستغت عينا (ماريو)، وهو يهتف بدوره ذاهلا:

- يا للشيطان!

لم يكذ يتم كلمته، حتى رأى (منى) تثب في رشاقة، عبر الزجاج المحطم، وتوغل (كارلو) بكل قوتها في معدته، ثم تثب لتركله مرة أخرى في أنفه ..

ومع سقوط (كارلو) أرضاً، قفز (ماريو) خارج
المسيارة، وانتزع مئسسه، صارخاً في ثورة :
- أيتها اللعينة .

وأطلق رصاصاته نحو (متى) في غضب، ولكنها
ارتدت أرضاً، والتقطت المئسس الذي سقط من (كارلو)،
وتدحرجت في مهارة، متفادية ميل الرصاصات، وراحت
تمطر (ماريو) برصاصاتها أيضاً ..
وكانت مفاجأة مدعشة لرجل (المافيا) ..
لقد كشف، في هذه اللحظة فقط، أنه يقاتل محترفاً،
لا يشق لها غبار ..

كانت رصاصاتها تصيب ما حوله، على نحو يمنعه من
إبراز رأسه ومواجهتها، فغمغم ساخطاً :
- ألف لعنة .

ومذ أصابعه المرتجفة، يلتقط بوقى اللاسلكي، وهو
يهتف :

- أنا (ماريو) .. أجب .. أجب عليك اللعنة .

أناه صوت يسأل في اهتمام :

- أين أنت يا (ماريو) ؟ وماذا حدث ؟ .. هل انتهت
المهمة ؟

صرخ (ماريو) :



لم يتكذبهم كلمته، حتى رأى (متى) تب في رشاقة، غير الزجاج
الخطم، ويحرك كل (كارلو) بكل ثوبها في معدته ..

* .. لم ينته أى شيء .. لقد نجحت تلك اللعينة ، على الرغم من إصاباتنا ، وهى تطلق النار على كالمطر .. ألا تسمع صوت الرصاصات ؟

أتاه صوت محبته مفعنا بالدهشة ، وهو يقول :
- أية رصاصات ؟

تراجع رأس (ماريو) فى حدة ، وقد انتبه ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن رصاصات (منى) قد توقفت بالفعل ، فهتف وهو يستشير إلى حيث كانت تطلق :
- اللعنة ، أين ذهبت تلك العا ... ؟

قبل أن يتم عبارته ، كانت (منى) تثب فوقه ، من سطح سيارته ، وتركل مسدسه بعيدا ، وهى تقول :
- هذا أيتها الوغد .

سقط (ماريو) أرضا ، ثم هب واقفا على قدميه بسرعة ، والتزع من ساقه مكينا ضخما ، وهو يصرخ ..
- لن تهزم فتاة (ماريو) .

قلزت (منى) تركل السكين فى مهارة ، وهى تقول :
- أهذا رأيك النهائى ؟

صرخ مع ضياع مكيه ، وهو ينقض على (منى) كوحش مفترس :

- لا .. لن أسمع بهذا .

وفى نفس اللحظة التى انتهت فيها من صرخته ، دوى انفجاران ..

انفجار سيارة الملحق العسكرى المصرى ، وانفجار قبضة (منى) فى أنف (ماريو) ..

وجحظت عينا (ماريو) ، فى مزيج من الدهشة والألم ، ولكن (منى) أعقبت نكمتها بأخرى أشد عنفا ، فى الموضع نفسه . قهوى (ماريو) فاقد الوعى ، ووقفت هى تلهث ، من قرط ما بذلت من عنف ، وغشمت :

- ها هى ذى فتاة مصرية تهزمك أيتها الحقيير .
وانحنت لتلقط مسدسه ، ثم احتلت مقعد القيادة ، فى سيارة الشرطة الزائفة ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها صوت متوتر ، عبر جهاز اللاسلكى ، يهتف :

- (ماريو) .. أين أنت .. ماذا حدث ؟
التقطت (منى) يوق الجهاز ، وقالت فى سخرية تعجرج بما تشعر به من ألم :

- لقد انتهت رجلكم أيتها الوغد .. لم يعد قادرا على الرد .

هتف الرجل فى ذهول :

- ماذا ؟ .. أهو أنت ؟ .. كيف نجوت من الحادث ؟
أجابته فى حدة :

- الفضل لله (سيحانه وتعالى) .. ولحزام الأمان
القوى، ومبادرة صديقي المسكين، الذي ضحى بحياته،
وتلقى الصدمة كلها بذلاً مني .

صاح الصوت، وهي تدبر محرك السيارة :
- لن تغلتي منا .. إنها ليست نهاية المطاف، مازال
لدينا الـ ..

آخرسته وهي تقطع سلك البوق، وبقى به من النافذة،
وتوقفت لحظة، اغرورقت خلالها عيناها بالسموع، وهي
تلقى نظرة على السيارة المحترقة، متمتعة في مرارة الألم :
- وداخا يا صديقي .. لقد كنت عظيماً، حتى اللحظة
الأخيرة .

وانطلقت بالسيارة، لتكمل طريقها إلى المطار ..
وفي أعماقها، ثمان كل شيء يرتجف ..
صحيح أنها نجت من الحادث، ولم تلق مصرعها فيه،
ولكنها أيضاً لم تخرج منه سالمة ..

إنها تشعر بالآلم مبرحة، في كل عظمة من عظام
جسدها المرهق، والدعاء تميل من جرح جبهتها، لتغرق
جانب وجهها، وجزء كبير من شعرها المصبوغ ..

وبطبيعة أنثوية فطرية، ألقت نظرة على وجهها، في
مرآة السيارة، وزفرت في عصبية، وهي تمسح الدم
بأصابعها، مغممة :

- يا للسخافة !.. من حسن الحظ أن (أدلم) لا يشاركني
هذا الجزء من العملية، ورأى في هذه الحالة العزوية .
زفرت مرة أخرى في توتر، وزادت من سرعة
السيارة، حتى لاح لها العطار من بعيد، فهتكت في
ارتياح :
- أخيراً ..

وما إن لمحت أول هاتف عام، حتى أوقفت السيارة إلى
جواره، وهبطت منها لتتلقط ساعة الهاتف، وتطلب رقم
السيارة المصرية في (روما)، ولم تكد تسمع صوت
محذئها، حتى قالت بسرعة وتوتر :

- صباح الخير يا سيدي السفير .. أسفة للاتصال بك
في هذه الساعة المتأخرة، ولكن الأمر عاجل بالفعل .. أنا
الرائد (منى توفيق)، أتحدث إليك من المطار .. نعم .. من
المخابرات المصرية .. لدى أخبار مؤسفة يا سيدي ..
الرجل الذي أنيت من أجله يعمل لحساب (العافيا)، ولقد
طاردونا في شراسة، وتسببوا في مصرع الملحق
العسكري .. نعم يا سيادة السفير .. إنك لم تخطئ السمع
لقد استشهد ملحقنا العسكري، ونجوت أنا بأعجوبة،
وما زالت الأمور ..

قاطعها فجأة صوت صارم غاضب، يقول في حدة :

- عجبنا !.. ما الذى لنفيا هنا ؟.. أديك تفسير منطقي
يا سنيوريتا ؟

استدارت إلى مصدر الصوت بسرعة ، مصوِّبة
مسنسها إلى صاحبه فى عصبية ، ورأت أمامها رجلاً فى
أوائل الخمسينات من عمره ، أصلع الرأس ، أشيب
الفودين ، ضخمة الجثة ، تطلع إلى مسنسها بغضب أكثر ،
وهو يتابع :

- ما هذا بالضبط ؟.. أترجلين على تصويب مسنسك
إلى مفتش شرطة ؟
قالت فى حذر :

- ومن أترانى أنك رجل شرطة حقيقى ؟
أخرج شارة الشرطة من جيبه ، وهو يقول فى
عصبية :

- أتكلم هذه .. البطاقة الموجودة تشير إلى أننى
المفتش (روسكوتيس) .
تطلعت إلى الشارة لحظات فى إيمان ، ثم خلعت
مسنسها ، مضغمة :

- إلى حد ما .
عط شفتيه . وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول
فى حزم :

- الآن ، وبعد أن انتهيت من استجوابى ، والتأكد من
هويتى ، حان دورى لتوجيه الأسئلة .. أخبرينى بالله
عليك .. من أنت ؟.. وما سر إصابتك ؟.. وكيف اتفق أنك
تركيين واحدة من سيارات الشرطة ؟
أشارت إلى السيارة ، قائلة :

- إنها ليست سيارة حقيقية .
ففر قاء فى دهشة ، قبل أن يقول :

- ما الذى يعنيه هذا ؟
همت بإجابته ، لولا أن ارتفع من الهاتف صوت
السفير ، يصيح فى قلق :

- هل تسمعينى أيتها الزائدة ؟.. أين أنت ؟
رفعت سماعة الهاتف إلى أذنيها ، وهى تقول :

- أنا هنا يا سيادة السفير .. لقد التقيت بـ ..
فوجئت بالمفتش (روسكو) يختطف منها السماعة ،
ويلهى المحادثة بحركة عنيفة ، وهو يقول :

- هذا يكفى .
انقبضت قبضتها فى تحفز ، وهى تقول :

- ما هذا بالضبط ؟
قال فى حدة :

- إنك تتحدثين بلغة أجهلها ، بحوار أجهل قحواء ، مع
رجل أجهل هويته ، فما الذى تتوقعين منى فعله ؟

تطلعت إليه لحظات في غضب متحفز ، ثم لم تلبث أن تماكنت أعصابها ، وقالت :

- فليكن .. دعنا ننهي هذا الأمر السخيف بسرعة .
هتف :

- عظيم .. ما زلت أنتظر جواباً لأسئلتى .

عقدت ساعديها أمام صدرها بدورها ، وهي تقول :
- في هذه الحالة سيطول انتظارك كثيراً ، لأننى لن أجيب أى سؤال .
صاح محمداً :

- هكذا؟! .. فليكن .. سألقى القبض عليك إذن ، مع قائمة طويلة من الاتهامات .. سرقة سيارة شرطة ، وحمل سلاح بدون ترخيص ، و ...
قاطعه في صرامة :

- إنتهى أحمل جواز سفر نيبولوماسيا ،
التقى حاجباه في شدة ، وهو يحنق فيها في غضب ، ثم قال في حدة :

- هذا لا يمتحك حق حمل سلاح بدون ترخيص ..
أعطينى هذا السلاح فوراً .
ناولته المسلم ، قائلة في لهجة تحمل رنة ساخرة :
- ها هو ذا .. لقد قرغت رصاصاته كلها .

أدهشها ذلك الارتياح العارم ، الذى ملأ ملامحه ، وتلك الابتسامة الساخرة ، التى ظهرت على طرف شفتيه ، فهتفت وأثك يعصف بها :

- آلت رجل شرطة حقيقى ؟

- أجابها بلهجة عجيبة :

- بكل تأكيد .

ثم برقت عيناه مع استطرادته :

- ولكننى أعمل لحساب العائلة .

فهمت على الفور ما يعنيه ، وتراجعت بسرعة ، وهي تهتف :

- أبها الحقير :

ومع آخر حروف هتافها ، برز رجال (المافيا) من خلف سيارة (روسكو) وانقضوا عليها وهم يبتسمون في سخرية وشعانة ..

كانوا سبعة من الرجال الأقوياء الأشداء ، يعمل كل منهم هراوة قصيرة ، ووجوههم تحمل كل وحشية الدنيا وشراستها ، ومن خلفهم هتف صوت مألوف :

- أريدها حية .. من الواضح أن لديها الكثير لتخبرنا به .
صاحت (منى) ، وهي تنقض بدورها :

تعلقت عينا المفتش (جونز) ، في قلبي واضح ، بذلك القدح ، الذي جرعته (حسام) حتى آخره ، بكل ما يخويه من مادة (المبيدات) السامة ، فابتسم هذا الأخير في سرورية ، وهو يضع القدح على المائدة ، قائلاً :

- ماذا أصابك يا هذا ؟.. أهى أول مرة تشاهد فيها رجلاً يشرب ، أم أنك تجمع صور المتهمين الجدد ، وتصفها في .. احترقن وجهه فجأة ، قبل أن يتم عبارته ، وأمسك معدته ، صارخاً :

- يا إلهي .. الألم رهيب .

سرت قشعريرة باردة في جسد (جونز) ، وتراجع في حركة حادة ، وهو يحثق في (حسام) ، وقد أصابه انفعال جارف ، في حين قفز زميله من مقعده ، هاتفاً في هلع :

- ما .. ماذا حدث ؟

صاح (حسام) ، وهو يتلوى من ألم شديد :

- أفعالي تتعزق ، وحلقى جاف ، ونيران مشتعلة في صدري .

ازبد (جونز) لعبابه في صعوبة ، وتمتم :

- ألم أحظركم ؟.. لقد انتحرت .

تطلع إليه زميله في دعر ، في حين هتف (حسام) :

- جميل منك أن أوضحت .

لكمت أحد الرجال في أنفه ، بكل ما تملك من قوة ، وتفاوت ضربة عنيفة من هراوة الثاني ، وركلت الثالث بين ساقيه ، وقفزت لتتجاوز ضربة الرابع ، ولكنها شعرت بضربة قوية على مؤخرة عنقها ، ودار رأسها في عنف ، وصرخت بكل قوتها :

- (أدهم) .. أين أنت ؟

ولكن صرختها هذه لم تتجاوز حلقها ، والدنيا تظلم من حولها ، وهي تسقط في هوة عسيقة ..

وبلا قرار .

★ ★ ★





في حين تطلع (جونز) إلى (حسام) لحظة ثم غمغم :
— لا فائدة .. لن تنجو هذه المرة ..

— الزجاجة .. أعطونا الزجاجة ..
سأله رجل الشرطة في توتر :
— أية زجاجة ؟

قال (حسام) ، وهو يتلو في شدة :
— زجاجة الدواء ، التي كنت تحملها .. إنها ليست
عطرًا .. أحضرها أرجوك ..
الدفع الرجل خارج الحجرة ، لإحضار الزجاجة ، التي تم
التحفظ عليها ، عند إلقاء القبض على (حسام) ، في حين
تطلع (جونز) إلى (حسام) لحظة ، ثم غمغم :
— لا فائدة .. لن تنجو هذه المرة ..
تطلع إليه (حسام) في تهالك ، وهو يسقط فوق
المائدة ، فاستطرد (جونز) في تشفي :
— إنه (السيانيد) .. أسرع سم في العالم كما أخبروني ..
لقد انتهت حياتك يا صاح ، ولن يسعك ذلك الدواء الذي ..
اتسعت عيناه بفتة في ذهول واهلج ، عندما استعاد
(حسام) نشاطه كله دفعة واحدة ، وانقض عليه بحركة
مفاجئة ، ودفعه إلى الجدار ، قائلاً :
— هكذا إذن !

حاول (جونز) أن يلتقط مسدسه ، ولكن (حسام)
عاجلة بكلمة بالقبيلة في فكه ، وأخرى ساحقة في صدره ،
ثم انترع منه مسدسه ، وألصقه بعنقه ، قائلاً :

- إن فقد رشوك لتقتلني .. عظيم .. أخبرني إن من اتصل بك ؟ .. أهو ذلك المدعو (توني بورسالينو) ؟
ارتجف (جونز) ، من قعة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، وهو يمسح خيط الدم ، الذي سال من طرف شفتيه ، ويقول منهازا :

- ولكن كيف ؟ .. كيف نجوت من (السياتيد) السام .. لقد رأيتك تشربه بنفسي .

أجاب (حسام) في سخرية :
- لو أنك درست شيئا من علم السموم ، لعرفت الجواب بنفسك يا رجل .. هل تذكر أنني تناولت منذ فترة قرصا من تلك الأقراص ، التي تمنع إفرازات حامض (الهيدروكلوريك) (*) في المعدة ، وقلت : (إنني أتناولها باستمرار .. هذا هو الجواب يا أستاذ الأغبياء ، ابحث عنه في كتب السموم ، أو في تاريخ حياة (راسبوتين) (**)) .

(*) حمض الهيدروكلوريك : يعرف أيضا باسم (المبيداتيك) ، وهو المحلول المائي لأكسيد الهيدروجين ، وهو حمض قوي ، له أهمية تجارية كبيرة ، ويتفاعل مع أغلب الفلزات ، وتفرزه المعدة بصورة طبيعية ، لتضم المواد الغذائية داخلها ، وله استخدامات أخرى في الطب وتنظيف المعادن .

(**) راسبوتين : راهب روسي ، وشخصية داهرة ، المنصق ببلاط (تيلو الثاني) ، وكان فلاحا أميا ، سيطر على القيصر والقيصرة ، عن طريق شعوذات وأفعال خارقة للطبيعة ، ولعلاجه ولى العهد ، المصاب بنزيف الدم (الهيوفيليا) ، وقد اغتاله فريق من النبلاء ، بإقامة الأمير (يوسوفوف) .

غمغم (جونز) في دهشة مدعورة :

- (راسبوتين) ؟ !

قال (حسام) ساخرا :

- نعم .. هو أيضا حاولوا اغتياله باسم (السياتيد) ، وفشلت المحاولة .

مع آخر حروف كلماته ، وصل مفتش الشرطة الآخر ، وهو يعمل الزجاجة ، ولم يكذ يري (حسام) ، وهو يلصق زميله بالجدار ، حتى انتزع مسدسه ، هاتفا :

- اللعنة ! .. كانت خدعة .

اتحنى (حسام) بسرعة مذهشة ، متفاديا رصاصه المفتش ، ثم وثب نحوه كالقهد ، ورمل مسدسه في مهارة ، ثم كمال له ثلاث لكمات سريعة ، اختطف بعدها الزجاجة من يده ، قبل أن تسقط أرضا ، وهو يقول :

- انتبه يا رجل .. لو سقطت هذه ، ستكون نهايتنا جميعا .

اندفع (جونز) نحوه من الخلف ، مستغلا انشغاله بالتقاط الزجاجة ، ولكن (حسام) لمح به بطرف عينه ، فدار حول نفسه في رشاقة ، ولكنه لكمة كالصاعقة ، في أنفه مباشرة ، أسقطته فاقد الوعي ، في نفس اللحظة التي اندفع فيها رجال الشرطة نحو حجرة التحقيقات ، مع الهرج الحاد فيها ..

وأصبح على (حسام) أن يواجه رجال الشرطة مرة أخرى .

وكانت هذه المرة تختلف كثيراً عن سابقتها ..

كانت في عطر دارهم ..

ولم يضع (حسام) لحظة واحدة ..

لقد انتزع غطاء زجاجة العطر الزائفة ، وأفرغ محتواها في حرص ، على سطح المنضدة الصغيرة في حجرة التحقيقات ..

كانت للسان الزيتي القوام داخلها رائحة عطرية واضحة ، ولكنه كان يخفى داخله أربع كرات صغيرة من الزجاج ، تحوي سائلاً آخر ، له نفس اللون ، التقطها (حسام) في حذر ، في نفس اللحظة التي وصل فيها رجال الشرطة إلى بداية الزددة ، التي تقود إلى الحجرة .. وبسرعة مذهلة ، ألقى (حسام) واحدة من الكرات الأربع نحوهم ..

ودوى انفجار مخدود ..

انفجار أطاح بأحد رجال الشرطة ، وأجبر الباقيين على التراجع ، في حين وثب (حسام) خارج الحجرة ، وهو يطلق رصاصات مسننة في غزارة ..

وكانت مفاجأة مذهلة لإدارة الشرطة كلها ..

مفاجأة أصابت العديدين بالشلل ، وأجبرت الآخرين على التراجع ، مع انفجار الكرة الثانية ، والرصاصات المصاحبة لها ، و (حسام) يشق طريقه في بسالة عجيبة نحو الأبواب الخارجية ..

وفي حجرة المفتش (جونز) ، هب (تونى) واقفاً ، وهو يعتقد حاجبيه في شدة ، هاتفاً في عصبية :

— ما الذى يعنيه هذا ؟

كان قد فكر في الانصراف ، بعد أن أعطى المسم للمفتش (جونز) ، إلا أنه لم يلبث أن قرّر البقاء ، ليقاوم بنفسه من النتيجة ..

وما هي ذى مفاجأة جنيدة تواجهه ..

وعلى الرغم من صعوبة الموقف ودقته ، اندفع (تونى) بغادر الحجرة ، وراح يعدو نحو حجرة التحقيقات ، على عكس اتجاه الحركة العام في المكان كله ..

ومع دوى الانفجار الثالث ، عند باب الإدارة الرئيسى ، كان (تونى) قد بلغ الحجرة ، ورأى (جونز) ، الذى يستعيد وعيه متلألئاً ، فانقضّ عليه ، وجذبه من سترته في عنف ، هاتفاً :

— ماذا حدث ؟

أجاب (جونز) فى إعياء :

- لقد هرب ذلك الشيطان .

صاح (توني) في جنون :

- هرب ؟! وكيف سمحت له بهذا ؟! لماذا لم تكس له
السم كما أمرتك .

قال (جونز) في انهيار :

- لقد فعلت يا مستر (بورساليو) .. أقسم لك أنني
فعلت .. بل رأيت بشريه بنفسى ، ولكنه لم يتأثر به قط ..
احتقن وجه (توني) ، وهو يهزه في عنف ، هاتفا :
- مستحيل ! .. كيف يحدث هذا ؟

هز (جونز) رأسه ، وقال :

- است أدرى .. أقسم لك أن هذا يكاد يصيبني بالجنون
يا مستر (بورساليو) لقد شرب ذلك الشيطان القدر كله ،
ثم هب واقفا في نشاط ، ونكر شيئا عن (راسبوتين) .
عقد (توني) حاجبيه في شدة ، وهو يقول :

- (راسبوتين) !؟

هتف (جونز) :

- است أدرى ما يعنيه هذا يا مستر (بورساليو) ..
أقسم لك ..

دفعه (توني) في عصبية ، ونهض معقود الحاجبين ،
وعقله ينساق في شدة ..

- نعم .. ما الذى يعنيه هذا ؟! ..

ما الذى يعنيه ؟!

أما (حسام) نفسه ، فقد شق طريقه إلى الخارج بكل عنف
وقوة ، وتبادل إطلاق النيران مع عشرات من رجال الشرطة
الأمريكيين ، وشعر برصاصة تفترق ذراعه اليسرى ،
وأخرى تغوص في فخذه اليمنى ، ولكنه لم يتوقف ، بل واصل
طريقه حتى ساحة السيارات ، حيث ألقي قنبلة الأخيرة ،
وهو يشب داخل سيارة قوية ، وينطلق بها مبتعدا ..

وصرخ مدير إدارة الشرطة في غضب :

- إنه يهرب .. الحقوا به .. أمسكوه .

ومع صرخته ، علم رجال الشرطة أنفسهم ، واندفعوا
إلى سياراتهم ، ولكنهم كشفوا عندئذ أن قنبلة (حسام)
الرابعة والأخيرة قد انفجرت وسط السيارات ، وأتلفت
معظمها ..

ولكن السيارات الثلاث المتبقية انطلقت لتطارده (حسام)
في غضب ..

ولم تستمر المطاردة طويلا ..

صحيح أنهم عثروا على السيارة ، التى فر بها ،
ولكن ..

لم يكن هناك أثر لـ (حسام) ..

ولأننى أثر ..

★ ★ ★

كان (حسام) يعرف قواعد اللعبة جيدا هذه المرة ..
لقد قاتل رجال الشرطة الأمريكيين في عقر دارهم ،
وهزمهم وحطم غرورهم ، ونجح في الفرار منهم ..
ولن يمكنهم احتمال هذا قط ..

إنهم سيطاردونهم بكل قوتهم ، وكل طاقاتهم
وامكانياتهم ..

سيطاردونهم بكل ذرة غضب في أعماقهم ، حتى يظفروا
به ، أو يهلكوا دونه ..

ولهذا لم يواصل الفرار بتلك السيارة طويلا ..

لقد استخدمها فقط للابتعاد عن منطقة القتال ، بأقصى
مسافة ممكنة ، وهذا يعني مائتي متر على الأكثر ، في
مدينة شديدة الازحام مثل (نيويورك) ..

وفي شارع جانبي مقفر ، تخلى عن السيارة ، واحتمل
الأم لخصه . وهو يعدو مبتعدا عنها ، من شارع إلى
شارع ..

وأخيرا بلغ منطقة أخرى ، فتوقف لاهثا ، واستند إلى
جدار قديم ، يلتصق بعض الراحة ، ويلتقط أنفاسه
المرهقة ..

وفجأة ارتفع صوت خشن جاف ، يقول :

- هل يروق لك المكان يا صاح ؟

التفت (حسام) إلى مصدر الصوت ، ورأى أمامه رجلين
ضخمى الجثة ، ينظران إليه في استخفاف شرير ، وهما
يعبثان بمدينتين حادثتين ، فتطلع إليهما بنظرة خاوية ، وهما
يقتربان منه ، وسمع أحدهما يقول :

- أراهن أنك تحمل بعض المال .. أليس كذلك ؟

قال (حسام) في هدوء :

- بلى .. إننى أحمل الكثير منه .

رفع أحدهما حاجبيه في دهشة ، لهذا الجواب المباشر
الصريح ، في حين أطلق الآخر صغيرا طويلا ، قبل أن
يهتف في سخرية :

- لا تجعل هذا يقلقك يا رجل .. ستخلصك من حملك هذا

في لحظات قصار .

واقتربا منه أكثر ، ودفع أحدهما مديته إلى علقه ، في
حين قال الثانى ، وهو ينحن ليفتش جيوبه :

- ولكنك مصاب !.. ماذا حدث بالضبط ؟.. هل حاول

الزملء سلبك مالنا ؟

أجابه (حسام) :

- نعم .. ولكنهم تراجعوا ، بعد أن فعلت بهم ما فعلت .

قال الذى يلصق المديّة بعنقه في سخرية :

- وما الذي فعلته يا (سوبرمان) ؟

قال (حسام) في حزم :

- هكذا .

ومع قوله ، ارتفعت يده اليسرى تقبض على معصم الرجل ، وتزيج المنيعة عن عنقه ، في نفس اللحظة التي أبرز فيها يده اليمنى من خلفه ، وهي تمسك بمعصم الشرطي ، وأمالها في حركة سريعة ، وأطلق رصاصة على فم اللص ، الذي أطلق صرخة ألم رهيبية ، في حين هتف زميله :

- يا هذا ؟

رفع (حسام) يده في سرعة ، وهوى على فك اللص

الأخر بكعب المعصم ، قائلاً :

- إنها رصاصة .. أديك اعتراض ؟

سقط الرجل أرضاً في عنف ، كجوال مستلق بالفحم ، في حين صرخ زميله ، وهو يحاول منع الدعاء ، التي تتدفق من جرح قدمه في غزارة :

- لن تفعل شيئاً .. إننا نستسلم .

لكمه (حسام) في أنفه ، قائلاً :

- ولماذا تلمس متعتي يا هذا ؟ .. إنني أهوى قتل الأوغاد

في العشاء .

هتف المساقط واقفاً ، وانطلق يحدو هاتفاً :

- هذا لو وجنتهم أمامك .

أما زميله المصاب ، فراح يحجل بقدم واحدة ، صارخاً :

- انظروني أيها الحقيير .. لا تتركني وحدي .

تنفس (حسام) الصعداء عندما ابتعدا ، وأمسك محبته

في ألم ، وهو يفكر فيما حدث في قسم الشرطة ..

لقد لاحظ اهتمام (موتيا جراهام) الشديد بالقدر الذي

قدمه له ، واستنتج من هذا أنه ممن نوعاً من السم فيه ،

ولكنه لم ينتبه إلى هذا إلا بعد أن شرب مستويات القدر كله

بالفعل ..

ولم يشعر بأثر السم ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد تظاهر بالإصابة . ليمسح

اعتراف المفتش المرتشي ، قبل أن ينقض عليه ..

ومما سمعه ، أدرك لماذا لم يقتله (السياتيد) ، على

الرغم من قوته وخطورته ..

وغاوبته ثقته ..

ونجح في الفرار ..

أما الآن ، فهو يشعر بالقلق ..

لقد مز بفترة توتر عنيفة ، ستؤدي حتماً إلى آلام معنته

العصبية ، ودفعها إلى إفراد بعض أحماضها التي تولمه

أكثر وأكثر ..



اندفع بفقد ذلك الشارع الضيق ، ولكن الدوار الذي أحاط به
تضاعف أكثر وأكثر ..

بل لن تكفي بإبلامه هذه المرة ..
إنها ستقتله ..

ستقتله حتماً ، وبلا رحمة .
ومن داخله ، بدأ يشعر بالتهاك والتهيار ، ولكنه صرخ
في أعماق :

- لا بد وأن أصل إلى المستشفى .. وبأقصى سرعة .
اندفع بفقد ذلك الشارع الضيق ، ولكن الدوار الذي
أحاط به تضاعف أكثر وأكثر ، حتى أنه لم يعد يدرك ، أهو
تأثير السم ، أم الدماء التي فقدها ، والمجهود الجبار الذي
بذله ..!!

وعبر (خسام) الشارع بأقصى سرعة ، ولكن الدوار
تضاعف ، وتضاعف ، وتضاعف ، و...

وفجأة ، لم يعد جسده القوي قادراً على الاحتمال ..
ويغته .. وبلا مقدمات .. سقط (خسام) على أرض
الشارع فاقد الوعي ، في قلب مدينة لا تعرف الرحمة أو
الهدوء ..
في قلب (نيويورك) ..

★ ★ ★

وصاح الرئيس :

- ولكن هذا أمر مروع ، لا يمكن السكوت عليه .. إنه يشبه
قذارات رجال العصابات الأمريكية ، أيام (كابونى) (*) ..
قنبلة في كرة جولف ! .. يا للعار ! .. لن نقبل هذا العيب
الإجرامى فى (إنجلترا) قط .

أخفى (لاتسلوت) وجهه بكفيه ، وهو يهتف فى تأثر
والفعال مبالغين :

- يا لهول ما حدث !.. قلبى يتعرق كلما تخيلت سير
(سبيلمان) المسكين ، وهذه القنبلة اللعينة تحولته إلى
أشلاء متناثرة ، و ...

بتر عبارته ، واختفت باقى كلماته فى حلقه ، وانتفض
جسده كله ، غلغلا سمع من خلفه صوتاً ساخراً بارداً ،
يقول :

- احتفظ بقلبك سليماً يا سير (لاتسلوت) ، كما احتفظت
أنا بجسدى .

(*) (ألفونسو آل كابونى) (١٨٩٩-١٩٤٧) : أشهر مجرم فى
تاريخ (أمريكا) كلها ، عُرف باسم (الذو اللبنة) ، بسبب إصابته بعمى
فى وجهه ، ولقد تشأ فى (بروكلين) ، ثم انتقل للعيش فى (شيكاغو) ،
وبلغ دخله حوالى ٢٠ مليون دولار ، عام ١٩٢٠ م ، من أعمال إجرامية
وسفالة للقانون ، دون أن يلقى رجال الشرطة فى الإيقاع به ، حتى
تسبب (البوت تس) فى سجنه عام ١٩٣١ م ، بتهمة التهريب من ضريبة
الدخل .

٤ - المكتب الخامس ..

كان للاتلجار وقع الصاعقة ، على أعضاء نادى
الجولف الملكى البريطانى ، فهبطوا جميعاً من مقاعدهم ،
واندفعوا إلى ساحة الجولف الرئيسية ، حيث وقف سير
(لاتسلوت) يتطلع مبهوراً ، إلى منطقة الأشجار الكثيفة ،
التي تصاعدت منها أظنة مخيفة ، وهتف رئيس النادى
مذعوراً :

- ماذا حدث يا سير (لاتسلوت) .

بقى (لاتسلوت) صامتاً يضع لحظات ، وهو يبحث
ببصره بين الدخان المتصاعد ، عن أثر يعلن مصرع
(أدهم) ، ويزيل ما تبقى فى أعماقه من قلق مبهم ، ثم لم
يلبث أن رسم على وجهه علامات الحزن والأسى
والارتباك ، وهو يستدير إلى أعضاء النادى ، هاتفاً :

- إنه سير (سبيلمان) المسكين .. (روجر سبيلمان) ..
لقد نلت إلى تلك البقعة كثيفة الأشجار ، خلف كرتيه ،
وعندما ضربها انفجرت ، وأطاحت به تماماً .
شحبت وجوه الأعضاء ، وأحدهم يهتف :

- يا للبطاحة !

التفت (لاتسلوت) إلى صاحب الصوت في دهول ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها شهقات أعضاء النادي ، وهتاف الرئيس في ارتياح :

- سير (سبيلمان) .. شكرا لله .. أنك سليم معافى .
لم يكن (أدهم) لحظتها سليما فحسب ، بعد أن نجا من الانفجار ، وإنما كان بكامل أناقته ولباقته ، يمسك عصا الجولف في عدو ، ويبتسم في وسامة ، حاملا وجهه وسانح (روجر سبيلمان) ..

وفي حرارة بالغة ، اندفع إليه رئيس النادي يضافحه ، قائلا :

- إذن فقد نجوت يا سير (سبيلمان) .. كم يسعدنا هذا ؟
رمى (أدهم) (لاتسلوت) بنظرة ساخرة ، وهو يقول :
- كانت محاولة حقيرة لقتلى ، إذ أبدل أحدهم كرة الجولف الخاصة بي بأخرى زائفة ، تحوى (نيتروجلسرين) على الأرجح .. وأعترف أنني عدت أضربها بالفعل ، لولا أن لاحظت شيئا هائلا ..

سأله أحد الأعضاء في شغف :

- وما هو ؟

أوج (أدهم) بعصاه ، وقال في بساطة :

- إن الكرة كانت مستقرة تماما ، وكأنما وضعها أحدهم بيده ، ولم تترك خلفها أثر الاتزلاقي البسيط ، الذي يحدث مع سقوطها . وقيل أن تستقر في موضعها .. ولو أضفنا إلى هذا آثار الأقدام حولها ، كان من الطبيعي أن أستنتج أنها كرة زائفة ، ستتفجر فور أن تضربها عصا الجولف .
هتف أحد الأعضاء مبهورا :

- من الطبيعي ؟ .. من أنت بالضبط ؟ .. (روجر سبيلمان) أم (شيرلوك هولمز) ؟

اتفق حاجبا (لاتسلوت) في غضب شديد ، في حين اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، التي يرمقه بها في استهتار ، ورئيس النادي يهتف :

- ولكن الكرة انفجرت بالفعل !

أوما (أدهم) برأسه إيجابا ، وقال :

- بالطبع يا سيدي .. كان من الضروري أن أتأكد من أنني لم أخطئ الاستنتاج ، لذا فقد احتميت بجذع شجرة كبير ، وأصبت الكرة بحجر كبير ثقيل ، وكان من الطبيعي أن تتفجر .. اليس كذلك ؟

تخلي الأعضاء عن وقارهم هذه المرة ، وهتفوا مهلئين في حرارة ، وأحاطوا بـ (أدهم) يضافحوته ، في حين بقي (لاتسلوت) في موضعه ، والابخرة تكاد تتصاعد من أنفه ، مع ذلك البركان الثائر في أعماقه ، حتى انقض الجمع ، ورئيس النادي يقول :

- حمدا لله على سلامتك يا سير (سبيلمان) ، ولكنني سأبلغ الشرطة للتحقيق في الأمر .

لوح (أدهم) يكفه ، قائلا :

- هذا أمر طبيعي أيها الرئيس .

ثم اتجه إلى (لاتسلوت) ، وقال في سكرية :

- عجباً .. يبدو أنك الوحيد الذي لم يسع لتنهلتني

بالتجاة يا سير (لاتسلوت) .. هل أنتك ما حدث ؟

رمقه (لاتسلوت) بنظرة نارية ، دون أن ينبس ببنت

شفة ، فحاض (أدهم) عصاه ، واستطرد متهمكاً :

- وبالمناسبة .. نسيت أن أخبرك أنني عثرت على

جارسك (مور) وسط الأشجار ، وألقيت عليه النخبة ،

ولست أدري لماذا سقط فاقد الوعي ، وفقد اثنتين من

أسنانه الأمامية الجميلة ؟ .. ولكنه كان مهذباً في الواقع ،

فلم يلفظ بحرف واحد ، ولم ..

قاطعه (لاتسلوت) في عصبية :

- كفى .

قالها واستدار في حركة عنيفة ، والدفع نحو استراحة

الننادي ، ولكن (أدهم) لحق به في خطوات واسعة ، وهو

يقول مواصلاً سكريته :

- ماذا أصابك يا عزيزي (لاتسلوت) ؟ .. أين الهدوء

الأسطوري ، الذي يمتاز به شعبك ، والذي اشتهرت أنت

بالبذات به ، أيام عملك في المكتب الخامس (*) ؟

توقف (لاتسلوت) بحركة مباغتة ، واستدار إلى

(أدهم) في غضب ، قائلا :

- ما الذي تريده بالضبط ؟ .. لقد نجوت من الانفجار ..

حسن .. وماذا بعد ؟

أجابه (أدهم) في برود :

- لقد بدأت مرحلة اللعب بأوراق مكشوفة يا سير

(لاتسلوت) .. والواقع أنني مغرم دائماً بهذه المرحلة ،

وأميل إليها كثيراً في عملي .. الآن أنت تعلم من أنا ، وأنا

أعلم من أنت ، ولم يعد هناك مبرر للتحايل والمناورة .

قال (لاتسلوت) في حدة :

- عظيم .. ومن هذا المنطلق ، دعني أخبرك أن نجاتك

من الانفجار لا يعني أنك أصبحت في مركز يستحق

الاهتمام .. حياتك نفسها أصبحت مسألة مؤقتة ، قد تنتهي

في أية لحظة .

عقد (أدهم) حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

(*) المكتب الخامس : اسم يُطلق على المخابرات البريطانية .

- هذا أمر طبيعي ، لا يستحق فلسفة خاصة أيها الحقيير . فحياة كل مخلوق في الكون مسألة مؤقتة ، تنتهي في اللحظة التي يختارها خالقه (عز وجل) ، وبالنسبة لك ، ستحول حياتك إلى جحيم ، تتعنى فيه الموت ألف مرة ، لو لم أحصل منك على كل ما أبتغيه من معلومات .

انتفض (لاتسلوت) في غضب هائل ، وهو يقول :
- هل بلغت بك الوقاحة حتى تهديني في وطني أيها المصري ؟ .. ألا تعلم ما يمكنني أن أفعله بك هنا ؟ .. يكفى أن أعلن أنك لست (روجر سيلمان) كما تدعى ، وأن (آرثر سيلمان) لم ينجب أبداً ، وسيكون عليك عندئذ أن تبرر موقفك لرجال الشرطة .

قال (أدهم) ساخراً :

- وهل يلجأ (لاتسلوت) العظيم لمثل هذه السخافات ؟

أجابه (لاتسلوت) في غضب :

- نعم .. إذا اضطره الأمر لذلك .

تهدد (أدهم) ، وقال في هدوء :

- إنك تضطرنى ، في هذه الحالة ، إلى التعامل معك

بوسيلة مختلفة .

قال (لاتسلوت) متحدياً :

- مثل ماذا ؟

أجابه (أدهم) بسرعة :

- مثل هذه .

قالها وهو يتحرك بخفة مذهشة ، ويدور حول خصمه ، ثم يلجمه لكمة فنية في مؤخرة عنقه ، جحظت لها عينا (لاتسلوت) لحظة ، ثم هوى فاقد الوعي ، فتلقفه (أدهم) في رشاقة ، وهو يهتف بصوت مرتفع ، تعمد أن يسمعه رواد النادي :

- سير (لاتسلوت) .. ماذا أصابك ؟

هرع إليه بعض الأعضاء ، هائلين ؟

- ماذا حدث ؟

أجابهم (أدهم) متظاهراً بالفرح :

- لست أدرى .. لقد فقد وعيه فجأة .. إنه يحتاج إلى

طبيب .

هتف أحد الأعضاء :

- سأقوم باستدعاء طبيب النادي بسرعة .

قال (أدهم) في حزم :

- كلا .. إنه يحتاج إلى طبيبه الخاص ، الدكتور

(مائن) .. سأعمله إليه على الفور .

وقرن القول بالفعل ، دون أن يضع لحظة واحدة ،

فحمل (لاتسلوت) على ذراعيه ، وأسرع به إلى سيارته

أمام النادي، وبعض الرواد يلحقون به، ويعرضون مساعدتهم وتعاونهم، ووضع (أدهم) (لاتسلوت) الفاقد الوعي، على الأريكة الخلفية لسيارته، وهم بالجلوس خلف عجلة القيادة، عندما ظهرت سيارة الشرطة فجأة، وتوقفت أمام سيارته تمامًا، وهبط منها مفتش شرطة بريطاني، ينثب لسان غليونه في إسرائف، وهو يقول:

- أين سيرا (روجر سبيلمان)؟ وما قصة القنبلة هذه؟ أجابه (أدهم)، في لهجة توحى بالعجلة:

- أنا (روجر سبيلمان)، ولكنني لن أستطيع شرح الأمر الآن، فمعي سيرا (لاتسلوت)، وهو فاقد الوعي، ولابد لي من حمله إلى طبيبه الخاص على وجه السرعة، قبل أن ...

وهنا، قاطعة بفتة صوت الخادم (مور)، وهو يدعو نحو سيارة (أدهم)، صارخًا:

- أوقفوه .. إنه ليس (روجر سبيلمان) .. إنه زائف .. أنقذوا سيرا (لاتسلوت)، قبل أن يختطفه.

ولكن (أدهم) جلس خلف عجلة القيادة بالفعل، وهو يقول:

- إلى اللقاء أيها المفتش، سأبذل قصارى جهدي للعودة بسرعة.

عند المفتش حاجبيه، وهو يقول:

- مهلاً .. هذا الرجل يقول: إنك ..

ولكن (أدهم) لم يمهله ليتم قوله، وإنما انطلق بسيارته على الفور، و (مور) يصرخ:

- لا .. أنقذوا سيرا (لاتسلوت).

وارتفع حاجبا مفتش الشرطة في دهشة، ثم قفز داخل سيارته، وصاح في مائتها:

- اتبع هذه السيارة.

وانطلقت سيارة الشرطة خلف (أدهم) ..

أما (مور)، فقد شحب وجهه في شدة، ورثد في ارتياح:

- رباه! .. سيرا (لاتسلوت)!

وتجمد في مكانه لحظة، محدقًا في النقطة التي اختفت عندها سيارة (أدهم)، ثم لم يلبث أن التفص في عنف، وكأنما يستيقظ من حلم يشع، ودار على عقبيه، واندفع إلى داخل النادي، والتقط سماعة الهاتف، وضغط أزرار رقم خاص، ولم يكذ يسمع صوت محثته، حتى قال في توتر:

- المكتب الخامس؟ .. أريد التحدث إلى (ريتشارد

أكسيل) .. نعم .. أنا (مور) .. الخادم الخاص لسير
(لاتسلوت) .. إنه أمر عاجل للغاية .

وانتظر لحظات ، حتى سمع صوت محنته ، فهتف :
- مستر (أكسيل) .. إنه أنا .. (مور) .. لقد اختطفوا
سير (لاتسلوت) يا سيدي .. نعم .. اختطفه جاسوس
(مصري) .. انقذه يا مستر . (أكسيل) .. أرجوك .

ولم يكذ بعيد سماعه الهاتف ، حتى أصبح وانقا من أنه
قد أطلق في أعقاب (أدهم) أكبر قوة ، في الإمبراطورية
البريطانية السابقة كلها ..

رجال المكتب الخامس ، المعروف عالميا باسم أكثر
وضوحاً ..

اسم : جهاز المخابرات البريطانية ..



٥ - الخطّة تسيير ..

بدأت (سونيا جراهام) شديدة التوتر في تلك المساء ،
وهي تتحدث هاتفياً مع (ألكس ميلاتوفيتش) ، الذي هتف
من قلب (موسكو) ، بحماس منقطع النظير :

- كل شيء يسير على ما يرام يا مسز (آرثر) ..
البضائع وصلت هنا ، وافتتحنا شركة تصدير المعدات
الزراعية الروسية . وسيتم استبدال القطع الرئيسية مع
(مالينوف) ، و ..

قاطعته (سونيا) في عصبية :

- لا تذكر أية أسماء .

ازداد لعابه ، وقال :

- بالطبع يا مسز (آرثر) .. بالطبع .. هذا أمر بديهي ..
إنه مجرد سهو لحسب ، ولم أكن أقصد أن ..

قاطعته مرة أخرى في عصبية أكثر :

- فليكن .. متى تحصل على القطع الأصلية ؟

أجابها بسرعة :

- غدا .. في منتصف الليل تماماً .. لقد اتفقت على كل

شيء مع (مال...) أقصد مع صديقنا هنا ، وسنلتقى في المكان المحدود ، وننتهي كل شيء بسرعة .

زفرت في توتر شديد ، لم يجد له مبررا ، فغتم مرتبكا :

- أليس أية تعديلات ؟

أجابته في حدة :

- كلا .. امض في الصلصة تبعا للحظة .

وانتهت الاتصال بسرعة عجيبة ، ثم رفعت عينيها إلى (توني بورساليو) ، وأشعلت سيجارتها في عصبية ، فسألها في خفوت حذر :

- الخطة تسير على ما يرام .. ليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابيا في توتر ، وهو تنفث دخان سيجارتها ، ثم سأله في انفعال واضح :

- إذن فقد تحدثت عن (راسبوتين) ؟

قال (توني) :

- هذا ما أخبرني به (جونز) ، ولكنني أجهل ما يعنيه

هذا ، وما صلة ذلك الراهب الروسي المخيف بما حدث ؟
لوحث بيدها ، قائلة :

- هذا لأن ثقافتك ضحلة للغاية .

ففر فاه في دهشة ، وهو يقول :

- وما صلة الثقافة بهذا .

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وهي تجيب :

- لو أنك قرأت شيئا عن (راسبوتين) هذا ، لعلمت أن

أحد النبلاء حاول قتله ذات مرة ، باستخدام سم

(السيانيد) . ولكن (راسبوتين) كان مصابا بالتعديلات

أحماض المعدة ؛ بسبب إدمانه الطويل للكحول ،

و (السيانيد) في حد ذاته ليس مادة سامة ، وإنما يتحول

إلى ذلك عندما يختلط بحمض الهيدروكلوريك في المعدة

وينتج حمض السيانيد المائي ، وهو الشق الشديد السمية ،

وفي حالة خلو المعدة من الحامض ، يبقى السيانيد كما

هو ، فيبقى أثره السام .

هتف (توني) :

- فهمت .. إذن فالأقراص التي كان يتناولها ذلك

الشيطان ، والتي تمنع إفراز حامض الهيدروكلوريك في

معدته ، هي التي منعت تكوّن الحامض السام ، وأنقذته من

الموت .

قالت في عصبية :

- تماما .. إنه ينجو في كل مرة بمعجزة مماثلة ، وكأنما

يحاييه ملك الموت .

تطلع إليها في دهشة ، وهو يقول :

— هل تعرفينه يا سيدي ؟

عقدت حاجبيها في شدة ، وتطلعت لحظة في سمعت عجب ، إلى حوض السباحة المجاور لمكتبها ، عبر الجدار الزجاجي الضخم ، الذي يفصل بينهما ، قبل أن تجيب بصوت يهوج بالانفعال .

— لو أنه الشخص نفسه ، الذي أفكر فيه ، فلنا أعرفه جيدًا .. بل وأكثر مما يمكنك تخيله .

زادت دهشته ، وهو يتأمل عصبيتها وانفعالها ، وهي تجنب أنفاس سيجارتها في قوة ، ثم تنقلها في عنف ، وتتابع :

— ولكن هناك أمر يشير حيرتي ودهشتي .

سألها في حذر :

— وما هو ؟

ازداد اعتقاد حاجبيها لحظات ، قبل أن تقول :

— الشخص الذي هرب من إدارة الشرطة ، يتعامل مع الأمور بعنف شديد ، ويتسبب في مصرع البعض دون تردد . وهذا لا يتفق مع طبيعة الشخص الذي أعرفه ، والذي يتعامل مع الحياة وكأنها جوهرة ثمينة ، يتفادى طوال الوقت مجرد خدشها ، إلا في حالات الضرورة القصوى ، وللدفاع عن حياته ووطنه فحسب .

هلف (توني) في دهشة :

— أي شخص هذا ؟

شرد بصرها ، وهي تجيب :

— شخص من طراز شديد الندرة ، لا يمكنك أن تجد

سوى نسخة واحدة منه ، في الجيل الواحد ، وربما في عدة

أجيال .. شخص يمكنه أن يتصدى وحده لجيش كامل ،

دون أن تهتز في جسده شعرة واحدة ، أو يتراجع قيد

أنملة .. شخص من نوع خاص يا (توني) .. خاص جدًا .

ارتفع حاجباه في دهشة بالغة ، وهو يقول :

— سيدي .. إنك ..

كاد يقول :

— إنك تهشيقه .

ولكنه أمسك لسانه في اللحظة الأخيرة ، قبل أن ينطق

الكلمة ، وتلعثم لجزء من الثانية . قبل أن يتابع :

— إنك تدهشينني .

سحكت بقايا سيجارتها في المنفضة ، وهي تقول :

— المصطلح الأكثر صحة هو : « إنك تخيفيني » .

هز كتفيه ، قائلاً :

— لو أنه هناك شخص كهذا ، فهو قليل بالخافض

بالفعل .

مطت شفتيها الجسولتين، وهي تقول :

.. إنه موجود بالتأكيد .

ثم التفتت إليه مستطردة في حماس مفاجئ :

.. ولو أننا نتحدث عن الشخص نفسه ، فنجاته من السم

ليست نهائية ، إذ أن المجهود والافتعال سيجبران معننه

حتما على إفراز شيء من الحامض ، وعندئذ يتكون

الحامض السام ، ويلقى مصرعه ، أو ...

عادت تعقد حاجبيها في تكثير عميق ، فسألها في

لهفة :

.. أو ماذا ؟

قالت في بطم :

.. أو يفقد وعيه على الأقل .

سأل في اهتمام :

.. وماذا سيحدث عندئذ ؟

قالت في حماس :

.. سيحملونه إلى أقرب مستشفى بالتأكيد ، أو يتركونه

يلقى مصرعه وسط الطريق .

أشعلت سيجارة أخرى في انفعال ، وقالت :

.. فليكن يا (توني) .. إنك لن تحظى بالنوم هذه الليلة ..

ستدور على كل مستشفى في (نيويورك) ، وتبحث عن

شخص فقد الوعي في الطريق ، ومصاب بتسمم محدود ،

وربما برصاصة أو رصاصتين ، وستعثر عليه حتما .

وارتجفت أطرافها ، وهي تشتت نخان ميجارتها ،

مستطردة :

.. حتما يا (توني) .. حتما .

واشتعلت نيرانها أكثر ..

كانت مطاردة مثيرة ، في قلب (لندن) ..

(أدهم) ينطلق بالسيارة ، في قلب العاصمة البريطانية ،

وسير (لاتسلوت) فاقد الوعي ، في مقعدها الخلفي ،

وسيارة الشرطة تشق طريقها خلفه ، وبوقها ينطلق

بتواصل مزعج متخيف ..

ولكن ، من يهزم (أدهم صبرى) ، في مطاردة

سيارات ..

لقد انطلق وسط الشوارع المزدحمة في مهارة

مدهشة ، وكأنما ينطلق في صحراء خاوية ، والمارة

يفسحون له الطريق مذعورين ، وهو يقفز بسيارته فوق

الإفريز تارة ، ويتجاوز بها سيارة مسرعة تارة أخرى ..

وفي سيارة الشرطة ، هتف المفتش ، وهو يمسك بوق

جهاز اللاسلكي :

- إلى جميع الوحدات .. اشتركوا معنا في هذه
المطاردة .. إننا نطارده شيطاناً بالتأكيد .. لقد اختطف أحد
النبله ، وهو يقود سيارته على نحو لم أشاهده قط من
قبل ، في طريق (البكاديللي) (*) .. حاولوا اعتراض
طريقه ، أو افعلوا شيئاً لإيقافه .

وراح يكرر نداءه على نحو متصل ، والشرطى
المصاحب له يطارده (أدهم) في ذلك الطريق الطويل الذى
يقود إلى الميدان ، ثم لم يلبث أن هتف فى ارتياح :
.. لقد اعترضوا طريقه .

كانت هناك سيارتان من سيارات الشرطة ، قد ظهرت
بالفعل ، عند نهاية الطريق ، وانحرفتا لتتدان مخرجه
جيداً ، فى محاولة لمنع (أدهم) من الفرار ..
ولكن (أدهم) لم يتوقف ..

إنه حتى لم يخفف من سرعته ، وهو يندفع نحو
السيارتين كالصاروخ ، فهتف الشرطى الذى يقود
إحدهما :

- ما هذا بالضبط ؟ .. أهو مجنون أم أحمق ؟
ومع نهاية حروف كلماته ، انحرف (أدهم) يميناً بحركة

(*) (بيكاديللي) : ميدان شهير ، فى قلب العاصمة البريطانية ،
اشتهر بتجمعات القتاتين وقرى الهيبى ، والمفكرين من كل الجنسيات .



وارغفت أطرافها ، وهى تلتف دخان سيجارتها ، مستطردة .

- حسناً يا (لولى) .. حسناً ..

سريعاً ، وفلا بسيارته فوق الإبريل ، وترك السيارة تحسك
بجدار أحد المنازل ، وفلا يعبر تلك الفرجة الضيقة ، بين
مؤخرة سيارة الشرطة والجدار ..

ويصرخ المارة ، عندما نجح (أدهم) في العبور
بسيارته ، من ثقب الإبرة ..

صرخوا في ذعر وانهباء ، وشهق بعضهم غير
مصدق ، مع انطلاق سيارته المتزن ، بعد تلك العبور
المذهل ..

ويصرخ مفتش الشرطة في غضب :

- المسحوا الطريق أيها الأغبياء .. لقد تركتموه
يتجاوزكم ، وأنتم تعترضون طريقه الآن .

واضطر سائقه إلى التوقف ، حتى اعتذرت سيارته
للشرطة ...

وبدأت المطاردة من جديد ..

وفي هذه المرة ، اتجه (أدهم) نحو أطراف المدينة ،
وكانه يعرف طريقه بالضبط ، فقال مفتش الشرطة في
الأي ، عبر جهاز التاملكي :

- إنني أيقظنا هذا الرجل ؟

أجاب أحد رجال الشرطة ، في السيارتين الأخريين :

- أننا نتجه إلى الجسر ، ومنه سنغير إلى الطريق
الداخلي ، وهناك لن نلتفتا للحاق به قط .

هتف المفتش :

- لا بد وأن نمنعه من بلوغه إن .. اسمع يا رجل ..

سنفترق هنا .. أنا سأواصل مطاردته على نحو مباشر ،
وأنت وزميلك تتخذان الطريق المختصر ، وتحاولان

اعتراض طريقه قبل الجسر .

ثم استطرد في حدة :

- ولا تتبعنا الخطة نفسها ، التي اتبعناها عند الميدان .

قال أحد رجال الشرطة في ضيق :

- سنبتذل قصارى جهنم .

وانفصلت السيارتان عن الركب ، وانطلقتا عبر الطريق
المختصر ، وخلفهما عاصفة من الغبار ، في حين أهدل

المفتش موجة الاتصال ، وقال :

- هذا المفتش (بلاكى) .. المطاردة تتجه إلى الجسر
الشرقي .. اطلبوا رفع الجسر على الفور ، لنقطع الطريق

على تلك الشيطان ..

أما (أدهم) ، فقد لاحظ الحراف السيارتين إلى الطريق
الجانبى ، فاهتم في سخرية ، وهو يقول :

- محاولة جيدة أيها السادة ، ولكن الطريق المختصر
يحتاج إلى سرعة كبيرة ، حتى يمكنكم الوصول قبلى إلى

الجسر ، ووعورة الطريق ستلتصمنا من هذا .

وضغط دؤاسة الوقود أكثر ، على الرغم من أن السيارة
تتطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، ولا ح له الجسر من بعيد ،
و ..

ولجأة انقض عليه سير (لاتسلوت) من المقعد
الخلفى ، وأحاط عتقه بذراعه ، وهو يهتف :

.. انتهت اللعبة أيها المصرى .. (لاتسلوت) ربح
كالمعتاد ..

كانت مبادرة مباغنة بالفعل ، وكفيلة بإرباك أكثر الرجال
ثباتاً ..

ولكن ليس (أدهم صبرى) ..
لقد استوعب (أدهم) الموقف فى جزء من الثانية ،
فحسبت بعجلة القيادة بيمينه ، وأدار يسراه خلف ظهره فى
سرعة ومهارة ، فأمسك عنق (لاتسلوت) ، وجذبه فى
قوة ، قائلاً :

.. قول سابق لأوانه أيها الوغد .
شعر (لاتسلوت) وكأن كلابة فولانية أطبقت على
عتقه ، وانترعته من مقعده بقوة خرافية . فطار جسده إلى
المقعد الأمامى ، وارتطم رأسه بزجاج السيارة فى عنف ،
قبل أن يسقط فى قاع السيارة ، وهو يصرخ فى ألم
غاضب :

.. لا .. لن تهزمنى بهذه السهولة ..

ومن سيارته ، رأى مفتش الشرطة ما يحدث ، فهتف
فى حماس :

.. إنهما يتشاجران .. عظيم .. لقد استعاد النبيل
وعيه .. هيا يا رجل .. هاجمه فى قوة .. اضربه بقبضتك ..

ولكن فى نفس اللحظة التى نطق فيها هذا ، كانت قبضة
(أدهم) تهشم أنف سير (لاتسلوت) ، مع قوله الساخر :

.. هذا أيضاً قول سابق لأوانه ..
تلقى (لاتسلوت) اللكمة ، فتراجع فى عنف ، وارتطم
رأسه بالزجاج المجاور له ، ثم ارتد مرة أخرى ، فاستقبلته
لكمة ثانية من قبضة (أدهم) ، أعادته مرة أخرى إلى حالة
فقدان الوعى ..

وعتصا اعتدل (أدهم) بعد أن أسقط خصمه ، كانت
سيارته تتدفع بكل قوتها وسرعتها نحو الجسر ..

وكان الجسر يرتفع من منتصفه ..
ولم يعد التوقف ممكناً ..

بل ولم تعد النجاة نفسها ممكنة ..
لقد صارت مستحيلة ..

مستحيلة بحق ..

★ ★ ★

٦ - الضربات ..

« سونيا جراهام » ١٢ ... »

هاتف مدير (الموساد) بالاسم في دهشة بالغة، قيل أن
بعض حاجبيه في شدة، ويستطرد في اهتمام :

« أنت واثق من هذا يا (موش) ؟

أوما (موش) ذر لنيلى) برأسه إيجاباً، وقال :

« كل الثقة يا سيدي .. الشواهد كلها تؤكد أن (سونيا

جراهام) تعمل لحساب تلك المنظمة الجديدة، المعروفة

باسم (سنالك)، إن لم تكن تحتل موقفاً قيادياً هاماً فيها .

مط المدير شفطيه، وهو يغمغم :

« يا للثأنة الحائرة .

ثم سأل في اهتمام أكثر :

« وهل جمعت تحريات كافية حول تلك المنظمة ؟

أجاب (موش) :

« لقد اتصلت بعزينا في (الكولجرس) (*) ، وأجرى

(*) (الكولجرس) : السلطة التشريعية، في الحكومة الانتخابية

لولايات المتحدة الأمريكية .. تأسس عام ١٧٨٩ م . بمقتضى العادة

الأولى من دستور الولايات المتحدة، ويتكون من مجلسين .. مجلس

الشيوخ، ومجلس النواب .

رجال مكتبنا في نيويورك تحرياتهم الخاصة، وتوصلوا
إلى أن (توني بوسالينو) هذا مجرد مهاجر أوروبي،
عمل طويلاً في بورصة الأوراق المالية (*) وأقلص
مرتبن على الأكل، ثم اختفى لعام أو عامين من عالم رجال
المال والأعمال، ليظهر فجأة منذ فترة ليست بال طويلة،
ويرأس مجلس إدارة شركة الإلكترونيات الكبرى في
(نيويورك) .

سأله المدير :

« وكيف أمكنه اتباع شركة ضخمة كهذه ؟

هل (موش) رأسه نفياً . وقال :

« هذا ما يبدو ظاهرياً، ولكن البحث الدقيق أكد أنه ليس

مالك الشركة، وإنما رئيس إدارتها فحسب .

بدأ اهتمام مشوب بالشك، على وجه المني . وهو

يقول :

« ما الذى يعنيه هذا ؟ .. المفروض أن مالك الشركة هو

الذى يرأس مجلس إدارتها في المعتاد .

أوح (موش) ببساطة، قائلاً :

(*) بورصة الأوراق المالية : سوق يتم التعامل فيها على

الأوراق المالية حيث يتكلى البائعون والمشترون، لتبادل سعة

متباينة الودجات، «سوفية الأوصاف، كالقطن، والمنسوجات»

والأسهم، والأوراق المالية .

هذا الأمر يعنى الكثير يا سيدي .. وربما يعنى أننا قد
أمسكنا طرف الخيط، الذى يقودنا إلى قلب منظمة (سناك)
الجديدة .

تراجع المدير فى مقدمه، وقال :

- ويعنى أيضا أنه من الضروري أن نتحرك فى سرعة ،
قبل أن يسبقنا المصريون إليها .

اتعقد حاجيبا (موشى) فى شدة، فور ذكر اسم
المصريين، وقال فى شيء من الحدة :

- وما شأن المصريين بهذا ؟

دفع إليه المدير عددًا من التقارير الموضوعه أمامه،
وهو يقول :

- من الواضح أنك لم تتابع التقارير الواردة من

(أمريكا) . فى الآونة الأخيرة .. هناك مصرى أصاب

نصف (نيويورك) بالجنون، منذ الصباح وحتى الآن

ونجح فى الفرار وحده من إدارة الشرطة، بعد أن نسف

تلكها على الأقل، ولا أحد يعلم أين هو الآن .

ازداد اتعقاد حاجيبى (موشى) فى شدة، وهو يقول فى

مقت واضح :

- (أدهم صبرى) .

تطلع إليه المدير لحظة فى صمت، ثم قال :

من الواضح أنك تكتر له بغضًا شديدًا، بسبب ما فعله
بك، عندما ألقينا القبض عليه هنا (*) .

تألفت عينا (موشى) فى غضب، لم يلبث أن ذاب وسط
ملاححه الجليدية الباردة، وهو يقول :

- أعتقد أن أفضل ما يمكن عمله، هو أن أسافر فورًا
إلى (أمريكا) .

تأمله المدير لحظة أخرى، ثم قال فى حزم :

- هذا صحيح، ولكن تذكر دائمًا أنها ليست عملية ثأرية

شخصية .. إنها مهمة عمل .. ومهم بالغة الخطورة .. إنك

تسعى خلف منظمة (سناك)، وليس خلف (أدهم

صبرى) .

قال (موشى) فى برود عجيب :

- أعلم هذا .

ثم عانت عيناه تتألقان، وهو يستطرد :

- ولكن عندما تنتهى المهمة، لن تعود أنا و (أدهم

صبرى) سالمين .. سيعود أحنا على الأقل داخل صندوق

بارد .

وصمت لحظة، قبل أن يضيف :

- أو كلاتا .

(*) راجع قصة (أرض العدو) .. المقامرة رقم ٩٣

و غائر حجرة المدير في برود مخيف ..
برود قاتل ..

ماذا تفعل . لو أنك في موقف (أدهم صبرى) ؟
الشرطة البريطانية تطارذك ، وغريمك اللدود فأقد
الوعي ، على قيد سنبعمرات منك ، ويمكنه أن يستعيد
وعيه في أية لحظة ، وميارتك تنطلق بأقصى سرعة ، نحو
جسر القسم من متصلة تماما ، وراح كل من نصفيه يرتفع
ميتعذا عن الآخر ..

ربما تتحرك قمتك على نحو غريزي ، فتضغط دواسمة
الفرامل لتخفيف السرعة ، وتدير يداك عجلة القيادة في
لهفة ، لتفادى الاندفاع خلف الجسر .

هذا ما ستمليه عليك غريزة البقاء ، الكامنة في أعماق
كل كائن حي في الوجود ..

ولكن (أدهم) لم يفعل هذا ..

لقد اعتدل في مقعده جيدا ، وقيض على عجلة القيادة
بهد من قولا ، وضغط دواسمة الوقود أكثر ، وكأنه يطالب
السيارة بتجاوز سرعتها القصوى استجابة له ، و ...

وعبر الجسر ..

صبره صاعدا بأقصى سرعة ، حتى بلغ النصف المرتفع
منه ، وصرخ مفتش الشرطة :

.. ماذا سيفعل هذا المجنون ؟ .. إنه يقتل نفسه .
ولكن (أدهم) وثب بالسيارة ، عبر نصف الجسر
المفتوح ..

واحتيمت الأنفاس كلها في دمول منبهر ، والسيارة
تطير المسافة الخالية ، بين نصفي الجسر ، ثم تبدأ رحلة
الهبوط نحو النصف الآخر للجسر ..

وانتفض جسد المفتش ، عندما رأى السيارة تهبط في
عنف ، وإطارتها تطلق صريحا مخيفاً ، مع انزالها البالغ
الخطورة ، والذي كاد يعرضها للانقلاب ، لولا سيطرة
(أدهم) الخرافية على عجلة القيادة ..

وفي دمول ، جثث المفتش ، وسائقه يضغط فرامل
سيارته في قوة ، قبل أن تبلغ الجسر :

.. لقد فعلها ! .. هل تصدق هذا ؟ .. لقد فعلها .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى انفجر الإطار الأمامي الأيسر
لسيارة (أدهم) ، ودوى انفجاره كقنبلة مكتومة في
المكان ، في نفس اللحظة التي ظهرت فيها سيارته الشرطة
من الطريق المختصر ..

وأمام أعين الجميع ، دارت سيارة (أدهم) حول نفسها
في عنف ، وصرخت إطارتها أعلى وأكثر ..

ثم انقلبت على جانبها ..

القلبت وراحت تزحف طويلاً، قبل أن تستقر أرضاً، في منتصف الطريق تماماً، وإطاراها العلويان يدوران في علف ..

وهتف رجال الشرطة في انفعال :

- دعوا الحارس يخفض الجسر .. إنها فرصة مثالية .. لقد أوقفنا ذلك الرجل .. أصرعوا قبل أن يفر ..

بدأ الحارس عملية خفض الجسر بالفعل، في حين دفع (أدهم) جسده خارج السيارة، من النافذة العليا، وجذب إليه جسد (لاتسلوت) في قوة، وهو يقول :

- فيما أيها الوغد .. لقد خسرنا هذه الجولة، بسبب رداءة إطارات السيارة، ولو لم نسرع بالابتعاد، سنخسر المباراة كلها .

جذب جسد (لاتسلوت)، الفاقد الوعي، خارج السيارة المقلوبة، وحمله على كتفيه، وهو يدير عينيه في المكان، بحثاً عن وسيلة لمواصلة الفرار، في حين راح الجسر ينخفض أكثر وأكثر، وسيارات الشرطة الثلاث تستعد لعبوره، ومواصلة المطاردة ..

ولم تكن هناك وسيلة مواصلات واحدة قريبة ..

ولكن (أدهم) لم يتوقف ..

لقد انحراف عن الطريق للمعهد، وانطلق بحمله وسط

غاية كثيفة، على جانب الطريق، وراح يعدو عبرها بأقصى سرعته ..

والتقى نصفاً الجسر ..

وعاود رجال الشرطة المطاردة ..

وبمجرد عبورهم الجسر، هتف المفتش :

- لقد رأيته يلج تلك الغابة .

قال أحد رجال الشرطة في قلق :

- ولكن السيارات لن يمكنها ولوج الغابة .

صاح به المفتش في غضب :

- أوقف السيارات إذن وطاردوه على الأقدام .

أطاعوه على الفور، وأوقفوا سياراتهم، وانطلق أربعة من رجال الشرطة البريطانيين على أقدامهم، وهم يمسون منسباتهم، لمطاردة (أدهم) عبر الدغل، وقطع (أدهم) الطريق بأقصى سرعة سمحت بها قدماءه، مع الرضوض التي تملأ جسده، من جراء انقلاب السيارة، وجسد (لاتسلوت) الذي يحمله ..

ومن خلفه، بدأ وقع أقدام رجال الشرطة واضحا ..

كان يعدون خلفه بسرعة كبيرة، حتى أنهم يقتربون منه، بأسرع مما يتعد هو عنهم ..

وفور إدراكه لهذه الحقيقة، توقف (أدهم) عن

الابتعاد، ووضع جسد (لاتسلوتا) إلى جوار إحدى
الأشجار، وهو يقول :

- يبدو أنه لا مفر من هذا أيها الوغد .. منتظرني هنا،
حتى أنتهى من أمر المطارين . وأعود إليك .

قالها وتحرك في خفة ، مبتعداً عن المكان ، وفي هذا
الوقت قال أحد رجال الشرطة لزملائه الثلاثة :

- المكان ضخم للغاية ، ويمكن لهذا الشيطان أن يختفى
خلف أية شجرة هنا .

سأله زميله :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ؟

توقف الشرطى ليقول :

- أفضل ما يمكننا فعله ، هو أن ننقسم إلى فريقين ،

ويتحرك كل فريق منا في اتجاه .. و ..

قاطعه فجأة صوت ساخر ، يقول :

- لا داعى لهذا .

استدار رجال الشرطة الأربعة في دهشة وفزع ، وبدأ

لهم المكان كله خالياً ، فهتف أحدهم ، ومسلمة متحيز بين

أصابعه :

- عن قال هذا ؟

أجابته زميله فى توتر :



لقد انصرف عن الطريق المبلد ، وانطلق خلفه وسط غابة كثيفة ،

على جانب الطريق ، وراح يهوى عودها باقصى سرعة

- إنه ليس شبحاً بالتأكيد ، على الرغم من أن المفطرة خالية . و .

أتاهم ذلك الصوت مرة ثانية ، قائلاً بنفس اللهجة الساخرة :

- أنت واثق من هذا ؟

وفي هذه المرة ، مَيَّز الأربعة موضع الصوت ، ورفعوا رءوسهم إلى أعلى ، و .

وانقضَّ عليهم (أدهم) ، من فوق شجرة قريبة ..

وفي تقريرهم الرسمي ، الذي قدموه فيما بعد ، في دائرة الشرطة ، لم يستطع أحدهم وصف ما حدث بعد هذه الانقضاضة بالتفصيل ..

الأمر الوحيد ، الذي أنفقوا عليه ، هو أنهم رأوا (أدهم) ينقضُّ عليهم ، ثم شعروا بمطارق فولانية تهوى على فكوكهم وأنوفهم ، وتفوق في أفعالهم ، وأن قوة عجيبة انتزعت منسباتهم . وألقنها بعيداً ، قبل أن يلقيهم خلفها فاقضى الوعي ..

واحد منهم فقط ، قال : إنه حاول أن يطلق النار ، ولكن (أدهم) وثب نحوه ، ودار حول نفسه على نحو مبهر ، بالغ الخفة والرشاقة ، وأطاح بمسلمه ببركة متقنة قوية ، قبل أن يهوى على معدته بلكمة كالقنبلة ، أعقبها بأخرى كالصاعقة ، في آنفة مباشرة ..

أما (أدهم) نفسه ، فقد أنهى القتال في لحظة واحدة تقريباً ، ثم اعتدل قائلاً :

- تقبلوا أسفى أيها السادة .. لقد اضطررت لقتالكم ، على الرغم من أننا نعمل في الواقع في الطريق نفسه ، لكل منا يسعى خلف العدل والحقيقة ، ولكن من الصبر عليكم أن تتفهموا موقفي . ومن المستحيل أن أشرجه لكم .

وقلب كفيه ، مستطرداً في أسف :

- إنها الحياة .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى تنأهت إلى مسماعه صرخة امرأة مذعورة ، ممتزجة بصهيل جواد ، فهتفت :

- ماهذا بالضبط ؟

وعاد أدراجة عدواً ، إلى حيث ترك (لاتسلوت) ، وانعقد حاجباه في شدة ، عندما لم يجده في موضعه ، وغشم : - لقد استعاد الوغد وعيه .

قالها وواصل طريقه بسرعة إلى مصدر الصوت .. وفي طريق ترائي ضيق ، رأى سيدة إنجليزية أنيقة ، تمتطي جواداً أسود ، وإلى جوارها أخرى ملقاة أرضاً ، تصرخ في غضب :

- ذلك الحقيق سرق جوادى وهرب به .

والتفتت إلى (أدهم) ، قائلة :

الحق به أيها السيد .. أوقفه .

تطلع (أدهم) في اهتمام إلى جواد (لاتسلوت) ، الذي يدعو به راكبه مبتعدًا ، وقال وهو يتجه بسرعة إلى الجواد الآخر :

— على الرحب والسعة .

وارتفع حاجبا المرأة الأخرى في دهشة بالغة ، عندما حملها على متن جوادها في خفة ويسر ، وهو يقول :

— اسمحي لي يا سيّتي .

ثم شهقت مبهورة ، مع تلك الوثبة المدهشة ، التي اعتلى بها ظهر الجواد ، وجذب عنانه هاتفاً :

— هيا أيها الجواد الأصيل .. الحق به .

أطلق الجواد صهيلًا رافعا ، وكأنما يعلن خضوعه لفارسه ، وثقلته المطلقة في قيادته ، ثم انطلق خلف جواد (لاتسلوت) ، والمرأة تهتف بأنفاس لاهثة :

— إته فارس حقيقي .. فارس رائع .

قالت الأخرى ، وهي تتلهض مبهورة :

— ووسيم .

أما (أدهم) نفسه ، فراح يحث جواده على الإسراع ، خلف جواد (لاتسلوت) ، وهو يقول له :

— هيا يا صديقي .. دعنا نلحق بذلك المفرور ، ونثبت له

أن العرب هم أعظم الفرسان ، في كل زمان ومكان هيا .

ولكن جواد (لاتسلوت) كان قويا بحق ، كما كان هذا الأخير شديد الانفعال والغضب يهتف في شماعة :

— لن تلحق بي أبداً أيها المصري .. أنت لا تعرف

(لاتسلوت) .. أنا أفضل فارس ، في انجلترا كلها .

انطلقا يطاردان بعضهما البعض في إصرار ، حتى بلغ الطريق الرئيسي ، فهتف (لاتسلوت) ، وهو يندفع إليه :

— ها هو ذا أخيراً .. دقائق وأجد عشرات من رجال

الشرطة لحمايتي أيها العربي .. لقد خسرت هذا السياق .. خسرتَه تمامًا .

وجذب عنان جواده ، وهو يلكره في معدته بقوة ، فوثب الجواد إلى الطريق ، ثم تجاوزه بوثة أخرى أنيقة ، إلى

الجانب الآخر ، حيث سهل معتد ، ينتهي بأطراف المدينة ..

ومن خلفه هتف (أدهم) بجواده :

— لا تسمح له بهذا أيها الصديق .. تعاون معي جيذاً ، فأنا (أدهم) ، وأنت (أدهم) (*) .. وهذا يجعلنا صديقين ..

أليس كذلك ؟

انطلق الجواد مطيعاً نحو الطريق الممهّد . وعينا

(*) (أدهم : كلمة عربية تعني شديد السواد .

(أدهم) تتابعان (لاتسلوت) ، الذى يقطع السهل بجواده ،
وهو ينهب الأرض نهبا ..

ولكن (أدهم) جواده لعبور الطريق ..
واندفع الجواد نحو الطريق ..

وفجأة ظهرت تلك السيارة (البورش) المبرعة ، وهى
تقطع الطريق كالسهم ..

وأطلق جواد (أدهم) صهيبا عاليا ، وكأنه يسأل صاحبه
المشورة ، ولكن ..

لم يكن التوقف فى الوقت المناسب معكنا ..
لم يكن كذلك أبدا ،

* * *



٧ - رجل .. وطائرة ..

سعد رجل المخابرات البريطانى (ريتشارد أكسيل) فى
خفوت ، لينبه رئيسه ، الذى انهمك فى مراجعة عدد من
التقارير الدورية ، فرفع الرئيس حينئذ عن التقارير ،
وتطلع الى (أكسيل) لحظة ، قبل أن يعتدل قائلاً :

- لقد طلبت مقابلتى يا (ريتشارد) .

تتحننح (أكسيل) ، وقال فى هدوء :

- لقد تلقينا إشارة استغاثة من (مور) ، الخالام

والحارس الخاص لمسير (لاتسلوت) ، وهو يقول : إن
جاسوسنا اختطف سيده ، ويطلبنا بالتدخل لإنقاذه .

مط رئيسه شفتيه ، وقال :

- ولماذا لم يتصل بالشرطة ؟

هز (أكسيل) كتفيه ، وقال :

- من المؤكد أنه وجد الاتصال بنا أكثر فائدة .

عاد رئيسه يعط شفتيه ، وينهمك فى التفكير لحظة ،

ثم قال :

- ولكن (لاتسلوت) لم يعد يعمل معنا .

قال (أكسيل) في هتوء :

- وتكون لديه من أسرارنا ما يجعله شخصاً شديداً الأهمية ، ويستحق عملية إنقاذ كبرى من الفئة (أ) .

أوما الرئيس برأسه موافقاً ، وقال :

- هذا صحيح .. نأخذ هذه العملية يا (ريتشارد) ، وحاول أن تهيبها بسرعة ، وعلى نحو نظيف ، حتى لا نضطر لتبرير موقفنا في البرلمان ..

سأله (أكسيل) :

- هل أستعين بطائرة هليكوبتر ؟

أجاب في حسم :

- بالتأكيد ، ولكن احرص على ألا تتلفها .. إنها عهدة حكومية .. لا تنسى هذا قط .

سأله (أكسيل) في اهتمام :

- وماذا عن ذلك الجاسوس ، الذي اختطف

(لاتسلوت) ؟

هل الرئيس كتفيه ، وقال :

- دعنا نكتفى بإنقاذ رجلنا السابق .. إنني أكره كتابة التقارير ومراجعة محاضر التحقيقات ، من أجل عملية جاسوسية محدودة .

ارتسمت على شفقي (أكسيل) ابتسامة جذلة ، وهو يقول :

- هل تكفي أن ... ؟

قاطعه رئيسه ، وهو يلوح بيده ، قائلاً في ضجر :

- نعم يا (ريتشارد) .. هذا ما أعنيه .. انكسر

(لاتسلوت) ، وتخلص من ذلك الجاسوس على الفور ..

هل تحتاج لتوضيح أكثر ؟

اتسعت ابتسامته (أكسيل) ، وهو يقول :

- كلا يا سيدي .. هذا بتقني .

وغامر الحجرة ، وهو يجعل أمراً صريحاً بالقتل ..

قتل (أدهم صبرى) ..

لمح (لاتسلوت) بطرف عينه تلك السيارة (البورش) ،

وهي تعبر الطريق بسرعة ، وأدرك من النظرة الأولى ،

وبحسابات عقلية سريعة ، اعتادها ويجيدها كل من عمل

في أي جهاز مخابرات في العالم ، أنها ستعوق طريق جواد

(أدهم) ، وربما صدمته في مسارها ، وأطاحت به وبراقبه

في لحظة واحدة ..

وبمزيج من الشغف والشجاعة واللباقة ، جذب

(لاتسلوت) عتار جواده ، وأوقفه ، واستدار به حتى

لا يفوته المشهد الرهيب ..

وفي داخل (البورش) نفسها ، لمح قائمها الجواد ،

وأدرك أنه سيرتطم به لا محالة ، فصرخ في هلع :

- رباب .. سنرتطم به .

وأطلقت زوجته صرخة دعر ، وهي تخفى وجهها بكفيها ، في حين برقت عينا (لاتسلوت) في شدة ، وانطلقت في أعداقه ضحكة ساخرة شامتة ، و ... وتوقفت الضحكة بفتة ..

توقفت لتتحول إلى صرخة أشبه بالقنبلة ، انفجرت في عقله وحده ، مع رؤيته لما فعله (أدهم) في اللحظة التالية ..

وكان المشهد مبهزاً يحق ..

بدلاً من أن يجذب (أدهم) عنان جواده ، ويحاول إيقافه ، قيل أن تبلفه (البورش) الممرعة ، لكز الجواد بقدميه في بطنه ، وهو يدفعه على نحو فني مدروس ، هاتفاً :

- هيا .. افعليها يا صديقي ..

واستجابة لتوجيهات فارسة ، وبطاعة منقطعة النظير ، رفع الجواد قائمته الأماميتين ، ووثب وثبة رائعة ، ليغير السيارة (البورش) ، في نفس لحظة التقائهما .. واتسعت عيون الجميع في انبهار ..

فاند (البورش) ، ومزارع عجوز ، و (لاتسلوت) نفسه ..

ولكن الأخير وحده ، تجح في اقتزاع نفسه من دهشته البائقة بسرعة خرافية ، وجذب عنان جواده مرة أخرى ، وهو يهتف :

- اللعنة !.. لقد نجا ..

إلا أن تلك الانتظار كلفه الكثير ..

والكثير جداً ..

لقد وثب (أدهم) بجواده فوق (البورش) ، وواصل الاطلاق به بأقصى سرعة ، لمطاردة (لاتسلوت) ، الذي أضاع تلك اللحظات الثمينة ، مما سمح له (أدهم) بالحقاق به ، وهو يهتف ساخراً :

- ها نحن أولاء قد التقينا مرة أخرى يا عزيزي (لاتسلوت) .

راح (لاتسلوت) يلكز جواده في قوة وعصبية ، في محاولة للفرار من (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير تخلى عن جواده ، ووثب وثبة رائعة مذهشة ، ليحيط وسط (لاتسلوت) بذراعيه ، ويسقطه معه عن جواده ، مستطرذاً :

- لعاذرا العجلة يا صديقي .. دعنا نسامر أولاً .

سقط الاثنان أرضاً في عنف ، وتخرجتا بعض الوقت ، ثم هب (لاتسلوت) واقفاً ، وهو يصرخ :

- لو أنك تتصور أنك ستقاتل غراً سائجا، فانت وأهم
أنا رجل مخبرات سابق.

وثوب (أدهم) في رشاقة، وركله في أنفه مباشرة،
وهو يقول:

- يا للمصادفة! وأنا رجل مخبرات حالي.
تراجع (لائسلوت) مع الضربة، ولمعت عيناه من
أثرها، ففجز عن الرؤية لحظة، عاجله (أدهم) خلالها
بكلمة كالقنبلة في فكه، وهو يقول:

- وهناك فارق كبير بين الحاليتين يا رجل،
ثم أعقب لكمة بأخرى كالصاعقة، أسقطت (لائسلوت)
فاقد الوعي للمرة الثالثة، فاحتس (أدهم) يحصله،
مستطردا:

- والفارق هو أن المران المستمر أمر حتمي للاقتصار
في عالمنا هذا.

كان الجواد قد توقف، فور وثوب (أدهم) عن منته،
فاتجه إليه هذا الأخير، وألقى جسده (لائسلوت) على
ظهره، واتجه به في هدوء إلى فجوة ضخمة عميقة،
وسط السهل الممتد أمامه، تطل عليها شجرة قوية، وراح
يربط جسده (لائسلوت) من قدميه، في غصن الشجرة
القوي، بحيث يتدلى رأسه داخل الحفرة العميقة، ولم يك
ينتهي، حتى تأوه (لائسلوت)، وقال:



وألقى جسده (لائسلوت) على ظهره، واتجه به في هدوء إلى فجوة

ضخمة عميقة

- بالشيطان !.. ماذا حدث ؟.. أشعر باحتقان في وجهي -

أجابني (أدهم) في سخرية :

- ربما لأنك تنظر إلى العالم من زاوية عسيرة بعض الشيء أيها الوغد .

انتهت (لاتسلوت) فجأة إلى وضعه هذا ، فهتف :

- ما الذي فعلته بي بالضبط ؟

قال (أدهم) في برود :

- خطأ يا صديقي ، سألني : ما الذي أتوى فعله بك بالضبط ، فالواقع أنني رجل قليل الصبر ، يروق لي أحياناً أن أنهى عملياتي بشكل سريع أتيق ، ولقد سلمت لعبة القط والغار هذه ، ورأيت أن تحسم الأمور بشكل لا يقبل الجدل هذه المرة .

وانحنى نحو الفجوة ، مستطرداً في صرامة :

- فيما أن أخبرني من هي (جوان) هذه ، وكيف يمكنني العثور عليها ، أو أقطع الحبل الذي يربطك إلى الشجرة ، وأترك جسك يهوى داخل تلك الفجوة ، بكل ما تحويه من تنوعات حادة قاتلة .

شعر (لاتسلوت) بخوف حقيقي ، وهو يتطلع إلى تلك البروزات الزهيدة ، في قاع الفجوة ، ولكنه حاول كتمان خوفه ، وهو يقول :

- إنك لن تفعل هذا .

هو (أدهم) كتفيه ، وقال في برود مخيف :

- لم لا تختبر هذا بنفسك ؟

ثم مال نحوه ، مستطرداً بنفس الصرامة .

- لا تخدع نفسك أيها الوغد .. أنت تعلم أن كليتنا

محترق ، وفي عالمنا ، ليس من حقه التنازل عن النصر ،

لأنك مرهف الحس .. وبالنسبة لي ، لست سوى وسيلة

للحصول على معلومات جيدة ومفيدة ، فإما أن أحصل

عليها منك ، أو أقتلك بلا تردد .. أليس هذا بالضبط

ما ستفعله أنت ، لو كنت مكالي ؟

وكانت هذه العبارة الأخيرة هي بالتحديد ، التوتر الذي

يعزف عليه (أدهم) ..

إنه يعلم جيداً أن (لاتسلوت) ما كان ليتروند في قتله

بلا رحمة ، لو تبادلوا الأدوار ، وأن طبيعته هذه تمنحه

حتماً ، من إدراك أن (أدهم) يختلف عنه تماماً ، في هذه

النقطة بالذات ..

وهذا ما سيملاً نفسه بالخوف والرهبة ..

وفي حزم صارم ، اعتكف (أدهم) في وفاته ، وقال :

- من هي (جوان) هذه ؟.. وأين تقيم ؟

صاح (لاتسلوت) في عصبية :

- أذهب إلى الجحيم .. إنك لن تحصل منى على حرق واحد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :
- ليس فى نيتى الذهاب إلى الجحيم الآن ، ولا فى أى وقت آخر يا هذا .
ثم حلّ طرف الحبل من الشجرة بجذبة قوية . وهو يستطرد :

- ولكننى سأرسلك إليه على الفور .
انطلقت من حلق (لاتسلوت) صرخة رعب هائلة ، وجسده يهوى داخل الفجوة ، نحو الأطراف الحادة القلعة فى قاعها :
- لا .. لا .

ولكن فجأة ، قبضت أصابع من فولاذ على قنميه ، ومنعت سقوطه فى اللحظة الأخيرة ، مع صوت (أدهم) الصارم المخيف ، وهو يقول :
- هل راق لك التجربة ؟

كان جسد (لاتسلوت) يرتجف فى شدة ، وكل الدماء احتلقت فى وجهه ، بعد أن رأى الموت بعينيه ، منذ ثانية واحدة ، فهتف دون تفكير :
- ما الذى تريد معرفته ؟

قال (أدهم) بلهجة الصارمة القاسية ، التى تجفد الدماء فى العروق :

- من هى (جوان) ؟ .. وأين يمكننى العثور عليها ؟
قال (لاتسلوت) بسرعة ، وهو يلهث فى شدة :
- اسمها (جوان أثر) .. سيّدة أعمال أمريكية ، ومليونيرة مجتمع ، وتقيم فى قصر منيف ، فى ضواحي (نيويورك) ، وهى فاتنة ، وباهرة الحسن والجمال .
سأله (أدهم) :

- وما علاقتها بمنظمة (سناك) ؟
أجابه (لاتسلوت) فى مراة :
- إنها الزعيمة .

تفجّر الجواب فى أنفى (أدهم) وانطلقت نيرانه فى عقله وقلبه فى آن واحد ..

إنّ فى (سونيا جراهام) هى الزعيمة ..
هى رأس (سناك) ..
يا لها من أفعى حقيقية ! ..

أفعى تحتضن ابنه ، وتتشله معها فى عالم قذر ، من الدسائس والمؤامرات والخيانة والخداع ..
فى مستنقع بشرى رهيب ..

وفى رعب ، صاح (لاتسلوت) ، متزعجا (أدهم) من أفكاره :

- لقد أخبرتك بكل ما لدى .. أقسم لك .. لا تتركني هكذا .. هيا .

تطلع إليه (أدهم) لحظة ، ثم دفعه في قوة إلى حافة الفجوة ، وألقاه فوق العشب الأخضر المحيط بها ، وهو يقول في صرامة :

- فليكن .. أنت بعيد عن الموت مؤقتًا ، ولكن حديثًا لم ينته بعد .

تطلع (لاتسلوت) إلى السماء ، وبدأ شيء من الارتياح في لهاته ، وهو يغمغم :

- كلا .. أظنه قد انتهى عمليًا .

ومع آخر حروف كلماته ، التقطت أننا (أدهم) أزيز الهليكوبتر ، التي تقترب في سرعة ، واستدار يتطلع إليها معقود الحاجبين ، في حين أطلق (لاتسلوت) ضحكة عصبية لاهثة ، وهو يقول :

- لقد حضر الرفاق في الموعد المناسب .

وفي الهليكوبتر ، خفض (أكسيل) منظاره المقرب عن عينيه ، وقال للطيار :

- ها هما ذان .. (لاتسلوت) والجاسوس .

قال الطيار في هدوء من اعتاد مثل هذه المظاردات :

- عظيم .. لقد أفاستنا التقارير في العثور عليهما بسرعة .. والآن ليس أمامنا سوى تنفيذ الخطة .. مستنقذ (لاتسلوت) ، ثم نقتل الجاسوس ، و...

قاطعه (أكسيل) بابتسامة وميعة :

- (لاتسلوت) سيبقى طويلًا يا صديقي .. الأسلوب الأمثل هو أن نعكس الترتيب .. فلنقتل الجاسوس أولاً ، ثم نستعيد رفيقنا السابق .

ابتسم الطيار بدوره ، وقال :

- فليكن .. هذا أكثر حكمة .

قالها ، وهو يتخفض بالهليكوبتر ، وينقض بها على (أدهم) ، الذي تعزف طراز الهليكوبتر من النظرة الأولى ، وأدرك أنها مزودة بمدفعين اليدين ، فامسك (لاتسلوت) من يافته ، وجذبه في قوة ، ليجهزه على الوقوف ، والترزع مستنمًا من جيبه ، الصل فوهته بصدغ (لاتسلوت) ، ولكن هذا الأخير أطلق ضحكة عصبية ، وقال :

- لو أنك تتصور أن هذا سيوقفهم ، فأنت مخطئ يا رجل .. أنا أعلم من هؤلاء .. إنهم ليسوا من رجال الشرطة . كما قد تتصور ، بل هم زملائي السابقون في المكتب الخامن ، فتعليماتي له (مور) أن يتصل بهم فور

تعرض للخطر ، وهم يهرعون إلى هنا ليس لإنقاذ حياتي ،
ولكن لمتك من الحصول على ما لدى من أسرار ، ونظرًا
لأنني عضو مخبرات سابق ، ولم تعد لي فائدة جالياً ،
فتهيبك بقتلي لن يوقفهم ، وإنما سيدفعهم إلى قتلنا معاً ؛
لأن هذا أكثر ضماناً لعدم شرب الأسرار .

قالها ، وعاد يطلق ضحكة عصبية شامتة ، وطيار
الهليكوبتر يسأل (أكسيل) :

سأته يهتد (لاتسلوت) .. ماذا ستفعل ؟

هز (أكسيل) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

- أطلق بضغ رصاصات للتخثير ، وبعدها إما أن يترك
(لاتسلوت) ، فنقلته وحده ، أو يتشبث به ، فترسلهما في
طرء واحد إلى الجحيم .

أطلق الطيار ضحكة مرحة ، وكأنما قال (أكسيل) دعابة
طريفة ، ثم ضغط زر الإطلاق ، في عصا القيادة ..
وانطلقت الرصاصات ..

انطلقت في شريط متصل ، على مسافة نصف المتر من
(أدهم) و (لاتسلوت) ، فجعل الجوادان ، وأطلقا صهولاً
قويًا ، امتزج بصرخة (لاتسلوت) :

- هل رأيت ؟

وأدرك (أدهم) أن (لاتسلوت) كان على حق ، وأن
رفاقه لن يترددوا في قتله دون رحمة ، مادام هذا يحفظ
أسرارهم ، الذين يتصورون أنه اختطف رجلهم السابق من
أجلها ، فدفع (لاتسلوت) بعيداً في عنقه ، وانطلق يعدو
نحو الجواد الأسود بأقصى سرعة ..

وفي الهليكوبتر ، مط (أكسيل) شفطيه في أسف ،
وهو يقول

- لقد ترك (لاتسلوت) .

ضعف الطيار ساخرًا :

- يا للخسارة !

ثم التدفع خلف (أدهم) ، مستطرداً في جنل :

- ولكننا سنظفر بأحدهما على الأقل .

وأطلق رصاصات الهليكوبتر مرة ثانية ..

وفي هذه المرة ، أصابت الرصاصات الأرض ، خلف
قنسى (أدهم) بسننيمترات قليلة ، قبل أن يشب على متن
الجواد ، مائفاً :

- هيا يا صديقي .. مهمتك شاقة هذه المرة .

أطلق الجواد صهولاً عصبياً هذه المرة ، ولكنه أظاع
قاربه ، وانطلق بكل قوته نحو العنينة ، التي بدت أبعد من
الواقع كثيراً ، و (لاتسلوت) يصرخ كالمجنون ، وهو يقاوم
قبوذه في شراسة :

- اقتلوه .. اقتلوه يا رفاق .

وقال (أكسيل) في سخرية :

- ما الذى يفعله هذا الساذج ؟.. هل يتصور أنه سيسبق

هلبوكوبتر كهذه بجوان عادى ؟

ثم تكز الطيار ، مستطردا في مرح :

- دعنا نثبت له أنه أحقق يا رجل .

ابتسم الطيار ، وقال :

- عشرة جنيهات على أنتى أستطيع إصابته في

منتصف ظهره مباشرة .

قال (أكسيل) :

- اجعلها عشرين جنيهًا ، وأطلق النار على منتصف

رأسه .

هتف الطيار :

- فليكن .. إنه أسهل رهان ربحته في حياتى .

والخلف بالهلبوكوبتر في مهارة ، ثم اندفع بمحاذاة

الأرض نحو (أدهم) ، وقال ساخرًا :

- قل وداعًا للحياة أيها الجاسوس .

وأكدت له شاشته أنه يصوب نحو منتصف رأس

(أدهم) تمامًا ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وكتم أنفاسه ، و...

وضغط الزناد .

★ ★ ★

٨ - مذاق الدم ..

أطلت نظرة حاتية من عيني العربية ، وهي تتحسس

شعر الصغير في رقة ، قابتسم لها في سعادة ، وراح

بضحك في مرح ، وهي تداعبه ، قبل أن تفمغم في أسى :

- مسكين أنت يا صغيرى .. روحك البرينة لا تجد من

يشبعها ، فأمك تتجاهلك ، وتقضى معك أقل القليل من الوقت ،

وتتحدث معك دومًا عن مقتلها لو ذلك ، ورغبتها في الانتقام

منه ، وكأنما تلوث فطرتك السوية بمذاق الدم الوحشى .

ثم ضمته إلى صدرها في حنان ، متباعدة :

- لماذا كان القدر قاسيًا ، فمحنك أما كهذه ؟.. وكيف

اختارها والدك ؟

تطلع إليها الصغير في حيرة ، ثم عاد يبتسم ، وكأنه

يدعوها لمعاودة المداعبة ، ولكنها تنهت في حزن ، وهي

تتابع :

- لو أن الأمر بيدي ، لحملتك ورحلت عن هنا ، ولما

تركتك بين يدي تلك المتوحشة قط .. إنها تسعى لتحويلك

إلى وحش مفترس ، يبغيض أباه ويمقتة ، وربما يسعى في

المستقبل لقتله ، أو ...

قاطعها صوت قاس ، يقول :

- إن فانت تتجسسين على .

انتفضت المريية في ارتياح ، واستدارت إلى (سونيا)
في ذعر ، وهي تضم إليها الصغير في قوة ، جعلته يطلق
صرخة دهشة وألم ، والمريية تهتف :

- سيديتي .. إلني ...

قاطعها (سونيا) في صرامة :

- أنت خائنة قذرة .

ثم انزعجت منها الطفل في عنف ، هاتفة :

- أتركي ولدي .

صرخ الصغير في فزع ، مع تلك الانزعاج القاسية ،
وانفجر باكيا في قوة ، وهو يمد يديه الصغيرتين إلى
مرييته ، وكأنما يستنجد بها ، ولكن (سونيا) دفعته في
غلظة إلى واحدة من خالمتها ، قائلة :

- أعيديه إلى حجرته .

جملت الخادمة الصغير إلى حجرته ، وهو يصرخ
ويبكي ، في حين امتنع وجه المريية المسكينة في شدة ،
وهي تقول :

- سيديتي .. إني أعذر ، و ...

قاطعتها (سونيا) في صرامة قاسية :

- لحساب من تعملين ؟

قالت المريية في ارتياح :

- لحساب من ؟ .. لحسابك أنت بالطبع يا ممز (آثر) .

انعقد حاجبا (سونيا) في شدة ، وهي تقول :

- ما الذي تعلميته من أُمري ؟

شحب وجه المريية المسكينة ، حتى صار أشبه بوجوه
الموتى ، وهي تقول :

- ماذا تقولين يا ممز (آثر) ؟ .. إني أجهل ما تتحدثين

عنه .. لقد سمعتك بالمصادفة البحتة ، وأنت تتحدثين مع
الصغير عن والده . ولم أتعمد ..

قاطعتها (سونيا) :

- بالمصادفة البحتة ؟ .. جواب سخيف يصعب

تصديقه .. وخاصة مع امرأة مثلي ، لا تؤمن كثيرا
بالمصادفات .

هتفت المريية في انهيار :

- إنها الحقيقة يا ممز (آثر) .. أقسم لك .

أومأت (سونيا) برأسها متفهمة ، وقالت :

- ربما كانت كذلك بالفعل .

ثم هزت كتفها ، مستطردة في لامبالاة :



وبحركة مباغتة سريعة ، دفعت المريية نحو حوض السباحة ،
فاطلقت هذه الأخيرة صرخة دعر ..

- ولكن ما الداعي للمخاطرة .
هو قلب المريية بين قدميها ، وهي تقول :
- ماذا تعنين يا ممز (آرثر) ؟
ارتسمت على شفتي (سونيا) ابتسامة مخيفة ، وهي
تقول :

- لا عليك يا عزيزتي .. لا تقلقي نفسك بكل عبارة
أطلقها .. ولكن أخبريني .. ألم تعلمي سابقاً أنك كنت بظلة
من أبطال السباحة ؟

قالت المريية في دهشة بالغة :
- أبطال السباحة ؟ .. مستحيل أن أقول هذا يا ممز
(آرثر) ! فلنا لا أعرف السباحة قط .
تألفت عينا (سونيا) ، وقالت :
- عظيم .

وبحركة مباغتة سريعة ، دفعت المريية نحو حوض
السباحة ، فاطلقت هذه الأخيرة صرخة دعر ، قبل أن تسقط
في الحوض ، وتغوص في أعماقه لحظة ، ثم تبرز على
السطح ، صارخة في رعب :
- النجدة يا ممز (آرثر) .. أنا لا أعرف السباحة ..
سأغرق حتماً .

ارتسمت (سونيا) في سخرية ، وقالت :

- حقاً! .. كم سيحزننى هذا ؟

وأشعلت سيجارتها فى هدوء ، ووقفت تراقب مربية صغيرها ، التى تصرخ مستجدة ، وتغوص وتطفو ، حتى انهارت مقاومتها ، وغاص جسدها للمرة الأخيرة فى حوض السباحة ، فنفثت (سونيا) دخان سيجارتها ، وقالت ساخرة :

- يا للمسكينة !

واتجهت فى هدوء عجيب إلى حجرة مكتبها ، المطلة على حوض السباحة ، والتقطت سماعة الهاتف ، وطلبت رقم دائرة الشرطة . ولم تكد تسمع محادثها ، حتى هتفت بصوت متباك :

- (فيليب) النجدة يا (فيليب) .. لقد غرقت (أنيتا) .. نعم .. مربية ابنى الصغير .. يبدو أنها تعطرت وسقطت فى حوض السباحة ، فلقيت حبلها غرقاً .. إنه مشهود يشع .. أسرع يا (فيليب) .. أسرع بالله عليك ..

وانتهت المحادثة وهى تبسّم فى سخرية ، مستطردة :
- مغرورة يا عزيزتى (أنيتا) .. ولكن صدقنى .. لماذا المخاطرة ؟

كانت تسحب نفساً عميقاً من سيجارتها ، عندما اندفع إليها (توني) ، هاتفاً :

- سيئتى .. لقد عثرت عليه .

برقت عينها (سونيا) فى شدة ، وتبخر من عقلها فى لحظة واحدة ، كل ما يخص (أنيتا) المسكينة ، وهى تهتف :

- عثرت عليه ؟!

أجابها فى انفعال :

- نعم يا سيئتى .. لقد فقد وعيه فى أحد الشوارع الجانبية ، وعثرت عليه واحدة من دوريات الشرطة ، وكان مصاباً برصاصتين ، واحدة فى ذراعه اليسرى ، والأخرى فى فخذه اليمنى ، وبه آثار تسمم واضحة ، ولقد نقله الشرطيان على الفور إلى مستشفى (بروكلين) ، حيث تم عمل غسيل معدة له ، واستخرج الأطباء الرصاصتين ، وهو يرقد الآن فى الحجرة رقم تسعة ، تحت حراسة مشددة من رجال الشرطة ، تمهيداً لاستجوابه ومحاكمته .
أطفأت سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

- لن يجدوا وقتاً لهذا .

سألها (توني) فى لهفة :

- يم تأمرين يا سيئتى ؟

ضربت سطح مكتبها بقبضتها ، وهى تقول فى حزم :

- لا بد وأن يموت هذا الرجل .

ورفعت عينيها إلى (تولى) مستطردة في حدة :

- الليلة -

ابنسم (تولى) ابتسامة واسعة ، وكأنا راق له الأمر ،

وقال :

- سغاف وطاعة يا سيديتي -

وغادر القصر لتنفيذ الأمر ، في نفس اللحظة التي وصل

فيها رجال الشرطة ..

وكان من الواضح أنها ستكون ليلة طويلة ..

طويلة للغاية ..

* * *

عندما ضغط قائد الهليكوبتر زر إطلاق النيران ، في

طرف عصا القيادة ، كان واثقا تمام الثقة من أنه -

مستهدف - لن يخطئ أبدا إصابة الهدف ، خاصة وهو يطير

على هذا الارتفاع المنخفض ، بمحاذاة (أدهم) تقريبا ،

وأجهزة التصويب الإلكترونية لديه تشير إلى أن رأس

الهدف في موضع التصويب تماما ..

ولكن لنقل دوره ..

وفي بعض الأحيان ، يروق للقدر أن يلعب دور

البطولة ، في أي موقف يختاره . على مسرح الحياة ..

وعندما فعله ..

ففي نفس اللحظة ، التي ضغط فيها الرجل زر الإطلاق ،

كان (أدهم) يجذب عنان جواده جانبا ، وينحرف به عن

مساره الطبيعي ..

وطاشت الرصاصة ..

وفي مزيج من السخرية والشماتة ، قال (أكسيل) :

- أخطأت الهدف -

عقد الطيار حاجبيه ، وقال في حدة :

- لقد رأيت بنفسك كيف تحرك في اللحظة الأخيرة ، و ..

يتر عبارته بفتة ، واتسعت عيناه في شدة ، وهو

يهتف .

- ما الذي يفعله بالضبط ؟

كان (أدهم) قد استدار نصف دورة كاملة بجواده ،

وانطلق به في آخر اتجاه يمكن أن يخطر لهم ..

نحو الهليكوبتر مباشرة ..

وفي دهشة بالغة ، هتف الطيار :

- إنه يهاجمنا -

قال (أكسيل) بذهول ، لا يخلو من نبرة مستنكرة :

- بجواد ١٢

ثم استدرك في سرعة :

- أطلق النار يا رجل .. اسحقه سحقا .

ولكن الطيار جذب عصا القيادة بحركة عريضة ، عندما رأى (أدهم) يطلق نحوه ، على مسافة مترين تقريباً ، فارتفعت الهليكوبتر بحركة حادة ، و (أكسيل) يصرخ :
- قلت لك : أطلق النار .

تجاهل الطيار هذا الأمر تماماً ، وهو يرتفع بالهليكوبتر أكثر وأكثر ، وكأنما يفر من شيء مخيف .. لم يكن يدري لماذا تلجأ الفرع في أعماقه على هذا النحو المبالغ ، بعد أن قلل يسخر من الأمر كله طوال الوقت ١٢ ..

ولكن شيئاً ما في أعماقه أنباه بأن هذا الرجل ، الذي يندفع بجواده نحو طائرة هليكوبتر مقاتلة ، بكل هذه الجراءة ، هو حتماً رجل غير عادي ..
رجل من طراز خاص ..
ومخيف ..

وعلى الرغم من ارتفاع الهليكوبتر ، صاح (أدهم) بجواده ، وهو يدعو إلى التفرز :
- هيا يا صديقي ، ارتفع إلى أقصى ما يمكنك .
ووثب الجواد الأسود القوي ..
وثب كما لم يفعل من قبل ، وكأنما يطيع أوامر فارسه ، الذي يختلف عن كل من امتطوه من قبل ..

وأضاف (أدهم) وثبة أخرى ، عندما دفع جسده إلى أعلى . متخلياً عن الجواد ، ومتشبهاً بالقائم السفلى للهليكوبتر ..

وفي فزع شديد ، صرخ الطيار :

- لقد أمسك بنا .

هتف (أكسيل) مثنوها :

- أمسك بنا ١٣ .. في هذا الارتفاع ١٤ .. هل جنت

يارجل ؟

أدهشه أن أخذ الطيار يرتجف على نحو عجيب ، وهو يرتد :

- أمسك بنا .. لقد شعرت به .

انعقد حاجبا (أكسيل) في شدة ، ثم انزعج منسبه ، وصوبه إلى أرضية الهليكوبتر ، وراح يطلق النار في عصبية ، فصاح به الطيار :

- ماذا تفعل بالله عليك ؟

صاح (أكسيل) :

- أقتله .. لو أنه تعلق بالهليكوبتر .

شحب وجه الطيار في شدة ، وهو يقول :

- إله .. إنه هنا .

اعتدل (أكسيل) في حركة حادة ، وحذق في (أدهم) بذهول ، وهو يشب داخل الهليكوبتر ، قائلاً في سخرية :

- مفطرة .. هل أزعجكما وجودي ؟

أدار (أكسيل) فرقه مسدسه نحو (أدهم) في سرعة مذهشة ، تناسب محترفا مثله ، ولكنه فوجئ بضربة سريعة من كف (أدهم) ، تتجاوز ضعف سرعته على الأقل ، تطيح بمسدسه ، ثم شعر بكمة كالقنبلة تنفجر في فكه ، مع صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول :

- خطأ يا رجل .. ألم تبهك أمك إلى خطورة العبث بالألعاب النارية ؟

دار رأس (أكسيل) في شدة ، في حين راح جسد الطيار يرتجف ، وهو يقول متضرعا :

- سأطيع كل أوامرك .

قال (أدهم) في هدوء :

- دعنا نختبر هذا .. هيا .. اهبط إلى ارتفاع متر واحد .

أطاعه الطيار على الفور ، فانحنى (أدهم) يلتقط مسدس (أكسيل) ، وصوبه إلى هذا الأخير ، وهو يبتسم في هدوء . قائلا :

- افقر أيها الزميل .

قال (أكسيل) في غضب :

- إنها ليست نهاية المطاف .. سنلتقي مرة ثانية حتما .

دفعه (أدهم) ، قائلا :

- سيسعدني هذا .

قفز (أكسيل) خارج الهليكوبتر ، التي تدور حول نفسها ، على ارتفاع متر واحد من الأرض ، فالتفت (أدهم) إلى الطيار ، وقال :

- دورك يا صديقي .

حل الطيار حزام مقعده على الفور ، وهو يقول :

- ولكن من السهل تصقب طائرة هليكوبتر ، في سماء (لندن) .. لم يمكنك أن تدعب بعيدا .

قال (أدهم) في هدوء :

- أشكرك على النصيحة .. والآن اقلز .

وثب الطيار خارج الهليكوبتر ، فاحتل (أدهم) مقعده في سرعة ، ولوح بيديه ، قائلا :

- إلى اللقاء أيها الزملاء .. أتمنى لكم حظا أفضل ، في المرات القادمة .

وختم عبارته بضحكة ساخرة عالية ، وهو يرتفع بالهليكوبتر ، وينطلق بها نحو المدينة ، فصاح (أكسيل) غاضبا :

- سأعثر عليه ، ولو كان هذا آخر ما أفعله ، في حياتي كلها .

أناء على مقربة صوت (لاتسلوت) ، يقول في عصبية :

- من الأفضل أن تفعل ، وإلا خسرنا الكثير .

التفت (أكسيل) إلى (لاتسلوت) ، الذى تخلص بالكاد من قيوده ، وهو يستطرد فى حلق :

.. هذا الرجل يحرف الكثير الآن ، ووجوده على قيد الحياة يمثل لنا خطورة شديدة .

قال (أكسيل) فى حدة :

.. ولماذا أخبرته بهذا الكثير يا (لاتسلوت) ؟

عقد (لاتسلوت) حاجبيه ، وقال :

.. لقد حققتى بعصل الحقيقة .

هتف (أكسيل) :

.. حقاً؟! لماذا لا تبدو عليك أعراضه إذن ؟

صاح به (لاتسلوت) :

.. أنظنى كاذباً يا (أكسيل) ؟

صرخ (أكسيل) فى وجهه غاضباً :

.. بل أفنك لم تعد صلباً كالأيام الخوالى يا سير

(لاتسلوت) .

صاح (لاتسلوت) :

.. وأنت لم تعد مهذباً يا (ريتشارد) .

كادا يشتكى فى مشاجرة كلامية طويلة ، لولا أن

استوقفهما الطيار ، فأنلأ فى عصبية :

.. معذرة أيها السيدان ، ولكن هل ستكتفيان بالمشاجرة ، وتتركان هذا الجاسوس يفر .

انتبها إلى سخافة ما يفعلته ، فتطلع كل منهما إلى الآخر لحظة ، ثم انترع (أكسيل) من ثيابه جهاز اتصال صغير ، وقال عبره :

.. من (٦٠٧) إلى القيادة .. الهدف نجح فى الفرار ،

وسرق التمر الصغير ، وهو يحمل الآن الكثير من الخلايا الرمادية .

كانت شفرة بسيطة ، تشرح الموقف كله فى كلمات موجزة ، أجاب عليها رئيس (أكسيل) ، قائلاً :

.. هذا يعنى أن العملية أصبحت أكثر خطورة .

قال (أكسيل) :

.. لهذا أطلب تطوير العملية ، ووضعها فى الخانة (أ) ،

مع علامتى زائد .

صمت رئيسه لحظة ، ثم قال :

.. هذا يعنى أنها عملية من الدرجة الأولى .

أجابه (أكسيل) فى حزم :

.. هذا ما أقصده بالضبط .

صمت رئيسه لحظة أخرى ، ثم أجاب :

- فليكن يا (ريتشارد) .. سأطلق صفارة الإنذار الكبرى، ولننطلق جميعاً في أعقاب الجاسوس .
وعندئذ ينسم (لاتسلوت) في ظفر، إذ كان هذا يعنى أن على (أدهم) أن يواجه أكبر وأضخم وأقوى أجهزة الأمن في (انجلترا) مجتمعة ..
وربما يعنى هذا أنه سيواجه (انجلترا) كلها ..
وبلا هوادة .

* * *



٩ - الوحوش ..

انتفض جسد (منى) انتفاضة مباغتة، وهى تستعيد وعيها دفعة واحدة، بعد فترة طويلة من الفوضى فى غيبوبة عميقة ..
ومع انتفاضتها، فتحت عينيها عن آخرهما، وحذقت فى المكان المحيط بها فى دهشة كبيرة ..
كانت داخل ما يشبه مخزنًا قديمًا للغلال، تفوح فيه رائحة القمح الطازج، وأتربة الحقول المسعدة، وأمامها يجلس رجل ضخم الجثة، استقبلها باهتمام صفرام بغیضة، كشفت عن أسنانه القذرة غير المنتظمة ..
وكانت مقيدة إلى مقعد معدنى ثقيل، وسط المخزن تمامًا، وخلفها أصوات رجال يتحدثون، أشار إليهم صاحب الأسنان القذرة، قائلاً :
- لقد استيقظت .
سمعت وقع أقدام ثقيلة تقترب منها، ثم برز أمامها (أنطونيو لويجى)، صاحب ذلك المطعم الصغير، الذى يتلقى المعلومات الواردة للمنظمة، وتطلع إليها لحظة فى صمت، ثم قال :

- كنت أظنك أكثر قوة ، ولكنك استغرقت سنت ساعات
كاملة ، للخروج من غيبوبتك .
ازدردت لعابها ، للسيطرة على أعصابها ، وقالت في
سخرية :
- ربما كنت أخشى الاستيلاء ، حتى لا أرى وجوهكم
البقيضة .
لم يبد عليه أدنى اهتمام بعبارتها ، وهو يشعل
سيجارته ، ويقول :
- لعك تتساملين : لماذا لم نقتلك على الفور ؟
قالت متهمكة :
- ماذا السوال لم يدر بخلدك قط .
تابع وكأنه لم يسمعها :
- الحقيقة أنك أثرت دهشتي بشدة ، بتلك المهارة التي
تتمتعين بها ، وخبرتك الواضحة في أساليب الشداع
والقتال ، حتى أنني سألت نفسي : إلى أية جهة تنتمين
بالتحديد ؟
قالت ساخرة :
- ما دمت أهتم بك ، فأنا أنتمي حتمًا إلى جمعية الرفق
بالحيوان .
تجاهل تعليقها مرة أخرى ، واستطرد :



وكانت متجهة إلى مقعد معدني ثقيل ، وسط المخرج تمامًا .

- الشيء الوحيد المؤكد ، هو أنك تلقيت تدريبات عالية المستوى ، يفوق ما يمكن أن تتلقاه فتاة عادية ، من فتيات الشرطة ، كما أنك مصرية ، وهذا يعني أنك تلتصين - على الأرجح - لجهاز أمنى دولى .

ثم مال نحوها ، مستطردا :

- بالمخابرات المصرية مثلا .

قالت بابتسامة ساخرة :

- هل ألهب كفى بالتصفيق ، أم ألهث مبهورة ؟

هل رأسه نفيا ، وقال :

- لا هذا ولا ذاك .

رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة ، وهتفت :

- عظيم .. تقدم لا بأس به .. إنك لم تتجاهل قولى هذه

المرة .

رمقها بنظرة صارمة صامتة ، فتأملت ساخرة :

- هذا يبشر بالخير .. ربما أمكنك تريد اسمى فى المرة

القادمة ، فتصبح أكثر شبها بالحيوانات المنزلية .

قال مساعده (تيلو مارشيللو) فى برود :

- دعها تسخر ما شاء لها أيها الزعيم ، فستيكسى

وتصرخ طويلا ، عندما يصل (مورتى) .

قالت (منى) :

- ومن (مورتى) هذا .. وحيد قرن آخر ؟

أجابها (لويجى) فى هدوء :

- (أندو مورتى) ؟ .. لا .. إنه ليس وحيد قرن آخر ، بل

هو أستاذ فى فن التزاع المعلومات ، وخبير فى مهنته ،

إلى الحد الذى جعلهم يقولون عنه : إنه قادر على إجبار

التماثيل الأثرية على الإفصاح عن تاريخها كله .

أطلقت ضحكة ساخرة ، وقالت :

- لدينا فى (مصر) دعاية شبيهة بهذا .

مال (لويجى) نحوها مرة أخرى ، وقال :

- والآن يا عزيزتى ، ماذا تفضلين ؟ .. هل تبغيننى كل

ما لديك الآن ، أم تترك عملية انتزاع المعلومات هذه

لصديقنا الرقيق (مورتى) .

سألته (منى) :

- قل لى .. أهو وسيم (مورتى) هذا ؟

فجأة ، هوى (لويجى) على وجهها بصفعة قوية ،

أعقبها بأخرى أكثر قوة ، قبل أن يصرخ فى وجهها .

- لقد سمعت هذا .. إنك تسخرين طوال الوقت ، لإخفاء

الخوف والرعب ، اللذين اتبعنا فى أعماقك ، وهذا أسلوب

معروف ، ولكننى أمقته كثيرا .

اعتذلت (موتى) ، وتركت خيط لم رفيع يسيل من طرف شفيتها ، وهي تقول :

- يا لك من رجل عسرى مهتّب !! هل تشعر بالقوة والثقة ، عندما تضرب امرأة ؟

قال في صرامة :

- بل أشعر بهما أكثر عندما أخنقها .

قال ساخرة :

- ألا تسمعين بـ (موتى) هذا ، ليخنقها بدلاً منك ؟

عقد حاجبيه لحظات ، ثم قال :

- أنا أيضاً أجيد بعض الأشياء .

وسمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

- وربما استعصمتها معك ، إذا ما خنقت مفاوضاتنا .

سأله :

- أية مفاوضات ؟

جنب مقعداً ، وجلس أمامها مباشرة ، وهو يجيب :

- محاولات إقناعك بالاعتراف بكل ما نذك . إنه أمر بسيط للغاية ، ولن يجشمك مشاق التعامل مع (موتى) الجزار . هذا ما نطلقه عليه .. ثم إننا سنتعاون في هذا الشأن .. أنت تتحدثين ، وأنا أستمع ، و (مارشيلو) يسجل اعترافاتك .. هل رأيت ؟ لن نضع المهمة كلها على عاتقك

قالت في سخرية :

- يا لشعورك المرفف !

تراجع في مقعده ، وهو يقول في صرامة :

- أما لو واصلت سخريتك وعنادك ، فلن أنتظر وصول (موتى) ، بل سأستعرض مواهبى على الفور .

قالت بسرعة :

- إننى أعترف بها .. لك موهبة فذة ، فى إثارة اشعلزاز وازدراء الآخرين .

اتعقد حاجباه فى شدة هذه المرة ، وهو يقول :

- إنن فهذا يعنى أنك ترفضين الاعتراف المباشر .

أطلقت ضحكة ساخرة أخرى ، وقالت :

- سأكون أغشى امرأة فى العالم ، لو اعترفت بهذه البساطة .. أنت وأنا ندرك ما يعنيه اعترافى ، فبمجرد حصولك على ما لدى ، تصبح حياتى عديمة القيمة ، ولن تجد سبباً منطقياً للإبقاء عليها .

هز كتفيه ، وقال :

- الموت السريع أفضل من الحياة مع عذاب مستمر .

قالت بسرعة :

- سأحتمل العذاب .

مط شففيه ، وقال :

- هذا ما تتصورينه .

ثم التفت إلى (مارشيللو) ، مستطرذا :

- احضر الموقد .

برفت عينا (مارشيللو) في جدل ، وهب من مقعده ،

قائلًا :

- سمعًا وطاعة أيها الزعيم .

بدأ القلق يتسلل إلى أعماقها ، و (لويجي) يقول :

- قيل أن تتساعلى عن مواهبى ، التى أتحدث عنها ،

ينبغى أن تعلمى أن الشيء الذى أجیده ، فى الدنيا كلها ،

هو الطهى .

قالت :

- لهذا الفتحت مطعمًا .

قال فى حماس :

- تمامًا .

ثم استطرذ فى اهتمام بالغ :

- وأفضل ما يمكننى طهيه هو أقراص (الهامبورجر)

الأمريكى .. إنها الوجبة التى منحت مطعمى شهرته .

ومال نحوها ، متابعًا فى حماس حقيقى :

- هل تعلمين كيف تصنعين أفضل أقراص (هامبورجر) ؟

تطلعت إليه فى صمت ، والقلق فى أعماقها يتضاعف

ويتضاعف ، وهى تتساءل عما يعنيه بحديثه هذا ، وهو

يقول ، دون أن ينتظر منها جوابًا ، أو حتى تساؤلًا حالزًا :

- فى البداية ، تصنع الأقراص نفسها ، ولا تسألينى

كيف . فالسر كله يكمن فى جودة الخلطة المستخدمة ،

وهى سر الصنعة ، ولا يمكننى أن أخبرك أى شيء عنه .

قالت متهمكة :

- ولا حتى نوع الكلاب المستخدمة ؟؟

لم يبد عليه حتى أنه سمعها ، وهو يتابع بشغف

عجيب :

- وبعد هذا نأتى بلوح من الصاج ، ونرشه بقليل من

الزيت ، ونوقد النار تحته ، حتى يقلى الزيت تمامًا ، و ...

صمت لحظة ، ثم قال فى تلفظ :

- نضع أقراص (الهامبورجر) .

سرت فى جسدها قشعريرة عجيبة ، عندما بلغ هذه

النقطة ، وتحولت هذه القشعريرة إلى ارتجافة خفية ،

عندما عاد (مارشيللو) حاملًا الموقد ، وهو يقول فى

جدل :

- ها هو ذا .

وضع (لويجي) الموقد أمامها ، وفوقه لوح الصاج ، ثم

أشعله ، وراح يرش الزيت فى مهارة فوق اللوح ، وهو يقول :

- ممتر (بورمالينو) .. ما هذا الذي تطلبه متى هذه المرة ؟

أجاب (توني) في هدوء :
- إنه لا يختلف كثيرًا عما أطلبه منك في كل مرة يا عزيزي (جونز) ، مع فارق واحد ، وهو أنك ستحصل على مكافأة مضاعفة هذه المرة .
هتف (جونز) في عصبية :

- هل تمزح ؟ .. ألا تدرك خطورة الموقف ؟! .. إنك تطالبني بالذهاب إلى المستشفى ، ولخول حجرة ذلك الشاب ، متجاوزًا طاقم الحراسة ، وقتله ، ثم الخروج بكل هدوء !! .. ألا تظن أنني أول من مستجه إليه أصابع الاتهام ، في هذه الحالة ؟

هز (توني) كتفيه ، وقال في برود :

- ولماذا تتجه إليك ؟

صرخ (جونز) :

- لماذا ؟! .. يا له من سؤال !

ثم خفض صوته بسرعة ، مستطردًا في الغغال :

- سأكون آخر من رآه حيًا يا رجل .. ألا تفهم هذا ؟

ابتسم (توني) ، وقال :

- المهارة تكمن في وضع الأكراس لفترة مناسبة ، بحيث تصبح ناضجة تمامًا ، دون أن تحترق أطرافها .
وفجأة ، انقضت عليها الضخم ، صاحب الأنسان الصفراء ، وحل قيود معصبيها ، ثم أمسك يديها في قوة ، وهو يطلق ضحكة مقبلة ، و (لويجي) يستطرد في صرامة :

- كما سنفعل بيدك الجميلتين .

شبهت على الرغم منها في قعر ، ولكنه استطرد في قسوة :

- راقبي الزيت جيدًا يا فتاتي ، فما إن يبدأ في الغليان ، حتى تشوي راحتيك ، حتى تفوح منهما رائحة الشواء الشهى .. استعدي .

كانت تصرخ في رعب ، وعيناها تحدقان في الزيت ، والجميع من حولها يحملون ابتسامة واحدة مخيفة ..
ابتسامة الوحوش ..

استقع وجه المفتش (جونز) في شدة ، وهو ينطلق إلى (توني) في استنكار عصبى ، وارتجفت أصابعه وهو يحاول إشعال سيجارته ، ونفت بخانها في توتر بالغ ، وهو يقول :

- لا تجعل هذا يقتلك .. لقد أعدنا الأمر بكل دقة .. إنك ستذهب لرؤية هذا الشاب ، بصفتك أحد رجال الشرطة ، الذين قاتلوه مباشرة ، وعندما تصبح وحدك في حجرته ، ستعقنه في أورنته مباشرة ، بكمية من الهواء تكفي لقتل فيل ، وفي هذه الحالة يكون سبب الوفاة الطبي هو سكتة قلبية مباغتة .. من سيشتك في أنها مفقولة ، مع كل إصاباته هذه .

ارتجف (جونز) ، وهو ينثث سيجارته ، قائلاً :
- وماذا لو رأيت أحدهم ؟
قال (تونى) فى هدوء :

- ومن يراك فى حجرة مغلقة ؟

مال (جونز) نحوه ، وقال فى عصبية :

- لو أن الأمر بهذه البساطة ، فلم لا تقتله أنت ؟

عقد (تونى) حاجبيه ، وقال :

- لقد حاولت .

نظر إليه (جونز) فى دهشة ، فتابع بسرعة :

- ولكننى وجدت حراسة مشددة على حجرته ، فقلت

لنفسى : (جونز) وحده يمكنه تجاوز نطاق الحراسة هذا ، لأنه رجل شرطة .

تراجع (جونز) ، وراح ينثث دخان سيجارته لحظات فى عصبية ، ثم سأل فى توتر :

- وكم المكافأة هذه المرة ؟

أشار (تونى) بأصابع يده كلها ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- خمسة آلاف دولار .

تطلع إليه (جونز) لحظة ، وقال :

- إنها لا تكفى .

عقد (تونى) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- لقد أصبحت جشعاً ، فى الآونة الأخيرة يا (جونز) .

قال (جونز) فى عصبية :

- إننى أخاطر بمستقبلى كله هذه المرة .

تطلع إليه (تونى) طويلاً فى صمت ، ثم قال :

- حسن .. كم تطلب ؟

أجاب بسرعة ، وكأنما أعذ الجواب مسبقاً :

- عشرة آلاف دولار .

ازداد انعقاد حاجبيه (تونى) فى شدة ، وقال :

- كان ينبغي أن أرفض هذا المبلغ المبالغ يا (جونز) ،

ولكن من حسن حظك أننا نولى هذه العملية أهمية بالغة ..

فيمكن .. ستحصل على ما طلبت .

تألفت عينا (جونز) فى ظفر ، وهو يلهض قائلاً :

- وأنا سأنفذ العملية على الفور يا مستر
(بورساليو) .

والدفع مغائرًا المكان ، وقد استحال تركه واستنكاره
إلى حماس شديد ، فمطأ (توتن) شفثيه في ازدياد ، وهو
يقول :

- يا للحقارة !

ثم التفت ساعة الهاتف ، وطلب رقم (سونيا)
الخاص . ولم يكد يسمع صوتها ، حتى قال :

- (جونز) سيؤدي المهمة بأسئلتى .. الآن على
الفور .. وسيحصل على نفس المبلغ المعتاد .. عشرين
ألف دولار .. بالتأكيد يا سيئتي .. سأخبرك فور انتهاء
التنفيذ .

وفي نفس اللحظة ، التي أنهى فيها المحادثة ،
كان (جونز) ينطلق بسيارته نحو المستشفى ، وهو يتحدث
إلى نفسه في حماس ، قائلاً :

- يا للخط الحسن !.. إنها صفقة رابحة بكل المقاييس ..
سأقتل ذلك الوغد ، الذي حطم أنفى في الإدارة ، وأحصل
على عشرة آلاف دولار أيضًا .

التقط نفسًا عميقًا ، وراح يطلق صليحًا متفومًا من بين
شفثيه ، وقد زال توتره كله ، مع حماسه الجديد ، حتى بلغ
المستشفى ، فأوقف سيارته في هدوء ، وصعد إلى الحجرة
رقم تسعة ، وابتمس في وجه طاقم الحراسة الواقف
أمامها ، وهو يقول في مرح :

- كيف حالكم أيها الرجال ؟.. هل يسير كل شيء على
مايرام ؟

أجابوه بابتسامة معاتلة :

- نعم أيها العفث .. لم نواجه أية متاعب حتى الآن .

أشار إلى الحجرة ، وهو يسأل :

- هل استعاد الرجل وعيه ؟

هزأ أحدهم رأسه نفيًا ، وقال :

- لا .. ليس بعد .

أومأ برأسه متفهمًا ، ثم قال بلهجة توحى بالاهتمام :

- أهو الرجل نفسه ، الذي هاجمنا في الإدارة .

قال أحدهم في حذر :

- ومن يكون سواه ؟

قال (جونز) في حدة :

- من يكون سواه ؟.. يا له من سؤال !.. أهذه هي

القاعدة الوحيدة ، التي يليتم عليها قضيتكم ؟.. ألم يتحقق

أي شخص من هويته ؟

ارتبك رجال الحراسة، وقال أحدهم :

... عندما يستعيد وعيه سن...

قاطعه (جونز) :

... عندما يستعيد وعيه؟! ولم لا يحدث هذا الآن ؟

ثم اتجه إلى الحجرة ، ودفع بابها ، مستطردًا :

... نظرة واحدة إلى وجهه ، تكفي لحسم الأمر .

اتجه أحدهم إليه ، ولكنه استوقفه بإشارة حاسمة ،
وقال في لهجة أمره صارمة :

... أستطيع حماية نفسي .

ودلف إلى الحجرة في سرعة ، قبل أن يعترض أحدهم ،

وأغلق بابها خلفه ، ثم استند إليه يلهث في شدة ، قبل أن

يسطر على أنفاسه ، ويخرج المحقن الفارغ من جيبه ،

مغمضًا :

... الأفضل ما أفعله ، هو أن أنهي هذه العملية بسرعة .

واتجه إلى حيث يرقد (حسام) ، وسط أجهزة طبية

عديدة ، وألقى نظرة على وجهه ، وهو يتعم :

... لم تكن تنسى نرة واحدة من الشك في هويتك ..

ثم كشف ذراع (حسام) ، وملاً المحقن الفارغ بالهواء ،

ثم يده في عروقه دون تردد ..

وأصبح الموت قاب قوسين ..

أو أدنى ..

★ ★ ★



ثم كشف ذراع (حسام) ، وملاً المحقن الفارغ بالهواء ،

دفعه في عروقه دون تردد

صحيح أن (أدهم) أصبح يمتلك طائرة هليكوبتر الآن ،
وهو ينطلق نحو (لندن) ، إلا أنه كان يعلم أن الطيار محق
تماماً فيما قاله ..

من السهل تعقبه في طائرة هليكوبتر ..
ولهذا لم يبلغ (أدهم) قلب العاصمة بطائرته ، وإنما
هبط بها على مشارف المدينة ، وسط دهشة العارة
البالغة ، وغادرها وهو يهتف ثيابه ، ويستعيد أنفاته ،
وأيتم في وجوه الجميع .. قائلاً :

- هبوط اضطرارى .. تقبلوا اعتذارى ..
تبادل العارة نظرات حائرة ، في حين راح شرطى
الممرور يشق طريقه بينهم في حزم ، وهو يقول :
- افسحوا الطريق للشرطة .. لقد ارتكب هذا الرجل
مخالفات بالجملة .

وأخرج دفتر مخالفاته ، وهو يسجل بصوت مسموع :
- الهبوط وسط الطريق دون ترخيص ، وتجاوز إشارة
حمر ، و ..

بتر عبارته بغثة ، وهو يتلفت حوله ، قبل أن يهتف :
- أين قائد الهليكوبتر ؟
أشار العارة إلى طريق جانبي ، وقال بعضهم :
- لقد انصرف ، وترك بطاقته .

التقط الشرطى البطاقة التى ترعها (أدهم) ، وقرأ عليها
اسم (لاسلوت) ..
سير (لاسلوت) ..

وفي اللحظة نفسها ، كان (أدهم) يقطع الطريق الجانبى
في خطوات واسعة ، ثم انحرف منه إلى طريق رئيسى ،
وعبره إلى آخر فرعى ، وراح يتنقل من طريق إلى آخر ،
حتى بلغ أحد الطرق الرئيسية الواسعة ، فاستوقف واحدة
من سيارات الأجرة ، وقال لقائدها :

- مطار (هيثرو) ..
انطلقت السيارة إلى المطار ، في حين استرخى هو في
مقعدها الخلفى ، يسترجع الموقف كله ..

لقد حصل على ما يكتفيه من معلومات ، ويمكنه تلميحتها
بالبحث والتحزى في (نيويورك) ، كما يمكنه الاتصال
برجال مكتب المخابرات المصرية هناك ، ليقوموا بعمل
التحريات اللازمة ، ويتوصلوا إلى بعض النتائج ، قبل حتى
أن يصل إلى هناك ..

ولكن ماذا عن (لاسلوت) ؟ ..
فكر السؤال إلى ذهنه بغثة ، فارتعد حاجبيه في شدة ،
وهو يعيد دراسة الموقف كله من جديد ..

لقد انتزع المعلومات كلها من (لاتسلوت) ، ثم تركه
على قيد الحياة ، سليماً معافى ، واستعد للرحيل ..
وهذا لا يصلح قط ..
إنه يعرف طراز الرجال من أمثال (لاتسلوت) ..
إنهم أشبه بالنمور ..
قد تبدو هادئة ودية ، لو استأنسها المرء منذ حدوثها ،
بل قد تعتاد تناول الفاكهة والخضراوات ..
إلا إذا ذاق طعم الدم ..
مذاق الدم وحده يحثها إلى وحوش مفترسة ، لا تعرف
الرحمة ، ولا يهنا لها بال ، إلا بارقة المزيد من الدماء ..
وهزيمة (لاتسلوت) ، رجل المخابرات البريطاني
السابق ، وعمل منظمة (سناك) الخالي ، لها حقاً مذاق
الدم في حلقه ..
إنها ستثير جنونه ووحشيته ، وتدفعه لارتكاب أفعال
حماقة وعنف ..
أو تدفعه لإبلاغ (سونيا) بكل ما حدث ..
وهذا يصنع فارفاً مخيفاً ..
ستعلم (سونيا) أنه خلفها ، وأنه عرف الكثير من
أسرارها ، وعلم صلتها بزعامة المنظمة ، و ..
ولن تجلس في انتظاره .

ستخفى بقية ، كما فعلت من قبل ..
وستحمل معها ابنه ..
ابنهما ..
الابن ، الذي تتخذ منه سلاحاً للضغط عليه وهزيمته ..
ومع اختفاء (سونيا) ، ستصبح كل المعلومات التي
لديه حيلة القيمة ..
« توقف .. »
ألقى ذلك الأمر إلى سائق السيارة في عزم شديد ، جعل
قدم الرجل تضغط قراميل آسيارة على نحو غريزي ، قبل
أن يلتفت إليه ، ويقول في ذهشة :
- ولكننا لم نصل إلى المطار بعد يا سيدي .
ناوله (أدهم) أجراً مضاعفاً ، وهو يقول :
- لا بأس .. سأهبط هنا .
هتف الرجل في حماس ، عندما رأى النقود :
- هذا حقك يا سيدي .. فلتهبط حيثما يحلو لك .
غاب (أدهم) السيارة ، واتجه في خطوات سريعة إلى
أقرب هاتف عمومي ، وطلب رقم مكتب المخابرات في
(لندن) ، ولم يكذ يسمع صوت محدثه ، حتى قال :
- أنا (ن - أ) .
هتف صاحب الصوت :

- (أدهم) .. أهلاً بك يا رجل .. كيف حالك ؟

قال (أدهم) في سرعة :

- في خير حال .. اسمعنى جيداً ، فليست لدى دقيقة واحدة أضيعها .. لقد أنهيت الجزء الأكبر من المهمة ، ولكن هناك بوى ينبغي إسمكاته أولاً ، وإلا أفسد الحفل الموسيقى كله . وأعتقد أنني سأبقى حتى أخرسه . أما بالنسبة لـ (منى) و (حسام) ، فأريد منهما أن ينتظراى فى المكان المتفق عليه فى (نيويورك) ، وهذا يعنى ضرورة أن تسافر (منى) إلى هناك ، فى طائرة الثانية ظهراً ، و...

قاطعه زميله فى تردد :

- لست أظن هذا ممكناً يا (أدهم) .

فلز قللى شديد إلى أصماق (أدهم) ، وهو يقبض على سعاة الهاتف فى قوة ، ويقول :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجاب زميله :

- بالنسبة إليهما ، لم تسر الأمور على ما يرام .

كرر (أدهم) فى توتر :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجاب زميله فى أسى :

- شرطة (نيويورك) أنشئت القبض على (حسام) ، ولكنه هرب منهم ، ممزاً تصف المبنى تقريباً ، وأصابته بعض رصاصاتهم ، ويبدو أن أحدهم حاول قتله بالسم ، وفقد وعيه فى أحد شوارع (نيويورك) ، فحُشرت عليه دورية شرطة ، وهو يرفد الآن فى الحجرة رقم تسعة ، فى مستشفى (بروكلين) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى توتر أكثر :

- وماذا عن (منى) ؟

صمت الرجل لحظة ، ثم أجاب فى تردد :

- لقد .. لقد اختفت .

كادت أصابع (أدهم) تعصر سعاة الهاتف ، وهو

يقول فى غضب :

- اختفت ؟! .. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

أجاب الرجل :

- لقد تطورت الأمور ، بينها وبين (لويجى) ، واتضح

أنه يعمل لحساب (المافيا) ، وراحوا يطاردون (منى) فى

قلب (روما) ، وتسببوا فى مصرع الملحق العسكرى

هناك . ثم ظفروا بها ، ولا ندرى شيئاً عنها .

تفجّر بركان من غضب هائل ، فى قلب (أدهم) ،

وزميلة يتابع :

- ولكننا نقوم بتفرياتها ، وسنشر عليها بأن الله ، حتى لو كانوا قد تخلصوا منها ، أو ...

قاطععه (أدهم) في صرامة :

- لو أنهم مسوا شعرة واحدة منها ، لن يجدوا شيئا ولهذا في الأرض كلها ، يمكنهم الاحتفاء فيه ونش .

قال زميله في قلق :

- (أدهم) .. إنها ليست عملية انتقامية .. لا تنس أن ..

قاطععه (أدهم) مرة أخرى في حزم مخيف :

- إلى اللقاء يا صديقي .

صاح الرجل :

- (أدهم) .. لا تفهروا يا رجل ، ولا ..

ولكن (أدهم) أنهى المحادثة ، وكل ذرة في جسده تتفجر بالقلق والغضب والثورة ، « استدار بفادر كابينة الهاتف ، عندما رأى فجأة مستمدا ، صوباً إلى رأسه ، وخلفه (أكسيل) يقول :

- يا للمصايلة !.. لقد التقينا مرة أخرى يا رجل ..

رفع (أدهم) قبضته بسرعة ، ليحكم (أكسيل) ، ولكن قبضته توقفت في الهواء ، وحاجباه يتعقدان في شدة ، وهو يدير عينيه في تلك المشهد المبهر أمامه .. لقد كانت كابينة الهاتف محاطة بجيش من رجال الشرطة ..

أكثر من ثلاثين رجلاً ، يصوبون أسلحتهم إلى هدف واحد ، في تحفز واضح ، وأصابعهم متألمة لضغط الزناد ، عند أول حركة مريبة منه ..

وفي سخرية شامتة ، قال (أكسيل) :

- هيا .. اعترف يا رجل .. لقد خسرت المعركة .

ولم يعلق (أدهم) على عبارته ، ولكن المشهد المائل أمامه كان يوحى بأن (أكسيل) على حق ..

لقد خسر (أدهم) هذه المعركة ..

وبكل وضوح :

★ ★ ★

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير

(الضربة القاصمة)